

الخطوة

مَجَلَّة فَصْلِيَّة ثَقَافِيَّة عَامَّة تُعْنَى بِالتُّرَاثِ البَصْرِيِّ

تصدر عن العتبة العبّاسيّة المقدّسة • قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث البصرة • العدد (١) السنة الأولى • ٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

العدد ١

- صناعة الفخّار
- سوق الصّفَّارينَ
- ثورةُ الزِّنج في البصرة

جامعُ وخطوة الإمام عليّ عليه السلام



كلمةُ العدد

لا يَخفى على كلِّ ذي لُبٍّ وبصيرة أهميّة التراث بالنسبة للإنسان؛ فإنّ كلَّ إنسان مستقيم الفطرة يُحاول أن يعودَ إلى جذوره وأصوله لكي ينطلقَ منها إلى آفاق المستقبل. ومعلومٌ ما للبصرة من أهميّة إذ إنّها تحفلُ بتراث زاخر، وتأريخ حافل، أهّلها لأنْ تكونَ حاضرةَ الدُّنيا في مختلف المجالات، وعلى حقب الزمان المتعاقبة . وعند الحديث عن البصرة فإنّ الذهن يأبى إلّا أن ينصرفَ إلى علمائها الأفذاذ .. وإلى جوامعها التي كانت حتّى الأمس القريب حاضنةَ المفكّرينَ الذين يفدُون إليها من كلِّ حَدبٍ وصوب .. وإلى ملتقياتها الثقافيّة التي كانت مرتعًا للشعراء والأدباء الذين سطّروا روائع القصائد والتُحَف الأدبيّة على أرضها المعطاء.

مع هذا كلّه نجدُ أنَّ هذه المدينة الثريّة بفكرها وعطائها العلميِّ والاقتصاديِّ قد عانت الإهمال المتعمّد من قبل مَن تسنّم زمام الأمور، وعلى مرِّ التاريخ، وقد كان التجاهل والتناسي والتهميش لهذه المدينة سمَةً بارزةً وواضحةً لهؤلاء الحكّام، آلت إلى أن يصلَ الحالُ بالبصرة، ذلك الثغر الباسم للعراق الذي اغتال بسمَتَه البعثُ الكافرُ الظالم، أن يهجرها كثيرٌ من مفكّريها وأعلامها .. فحُرِمَت من علمائها وإبداع مفكّريها، ومن همم شَبابها المثقّف المتطلّع، بسبب العنصريّة البغيضة، والحقد الأعمى، والنزاع الأهوج الذي ذهب بخيرة أبنائها.

ونحن هنا إنّما نريد أن ننهض بتراثنا المبعثر والمهمل بقصد أو من دون قصد، من محب مضيِّع لحقّنا، ومن حاقد على ولائنا. ونحن نسعى بقدرِ جهدنا أن نُعيد لمدينتنا إرثها المغتصَب، ومعالمها المهتضمة؛ لتبقى جذوةَ أمل لنا لكي نعيشَ بها نوراً يجلّي عتمةَ هذا الظلام الدامس الذي يُحيط بنا من كل جانب، ومن كلِّ حدبٍ وصوب، فحريٌّ بنا-ونحن أبناؤها ورجالُها-أن نعيدَ إليها ما ضاع من تراثها ومجدها بإحياء سيرة علمائها وأطبائها وشعرائها وأبطالها وأدبائها، وكلِّ الأشراف الذين عاشوا في هذه المدينة الجميلة الطيّبة وتنسّموا عبَق رحيقها، إذ هي الأرضُ التي تشرّفت بأئمة الهدى ﷺ، الذين قضوا شطراً من الوقت في رحابها، وخصوصاً يعسوب الدِّين وإمام المتّقين وسيّد الموحِّدين أمير المؤمنين ﷺ، قبل نزوله الكوفة، ما كان ذلك ليكون لولا ولاء أهل البصرة لأهل البيت ﷺ، فلا غروَ أنّها سمت على سائر المدن وخصوصاً المحيطة بها ... من أجل كلِّ هذا كان الواجب على المهتمِّين بالجانب الفكري والتراثي، وخصوصاً أهلها الكرام، ونخبها الأجلّاء أن يتصدّوا لرفع الحَيْف والطّمس والتّعتيم والإلغاء والتهميشَ الذي عاشته البصرة الفيحاء.

فكان لهم ما يريدون-ولو بالحدِّ الأدنى- إذْ شمّر الخيّرون منهم بإبراز وإظهار عظَم البصرة ودورها الرّيادي في الأمّة الإسلاميّة، وبيان فضل أعلامها في رفد المكتبة الإسلاميّة بمختلف المعارف العلميّة منها، والإنسانيّة العامّة من خلال تسليط الضوء على آثارها وتراثها العلميِّ والاجتماعيِّ والفكريِّ، وتقديم البصرة بواقعها الحقيقيِّ الذي تستحقُّه ألا وهو الدور المحوريّ في قضايا الأمّة الإسلاميّة وعلى مرِّ التاريخ.

وأخيراً... من الإنصاف القول إنَّ من مسؤوليّة الجميع-وخصوصاً مَن تعنيه هذه الحاضرة- ، إزالة كلِّ ما لحقَ بها من نسيان وإجحاف، لتحظى هذه المدينة بمقامها الرفيع، ولتغدوَ شمّاءَ شامخةً فيحاءَ.

• رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم



العتبة العباسية المقدسة

الخطوة

مجلة فصليّة ثقافيّة عامّة تعنى بالتراث البصريّ، تصدر عن
قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة – مركز تراث البصرة

أسرة التحرير :

الإشراف العـــام :
الشيخ عمار الهلالي

رئيـس التحريـــر:
الشيخ شاكر المحمّدي

مدير التحريـــر:
ياسين يوسف اليوسف

سكرتير التحريـــر:
هـــاني نمـــر عـجمي

هيأة التحريـــــر:
السّيّد شبّر السويج – الشيخ مدرك الحسّون
أحمـد وادي المـوسـوي – عـلي سلمان كنعان
عبد العزيز مسلم عبد الله

الإشراف اللغـــوي:
د. ضمير لفتة حسين

التصوير :
علي صادق مهدي– أحمد عبد العبّاس راضي

التنضيد الالكتروني:
ميثم علاء الدين– علي عامر عبد محسن

الـتـصـمـيـــم :
على جواد سلوم – محمّد شهاب العلي

العنوان ورقم الهاتف:
العراق– البصرة– بريهة
هـ: ٠٧٨٠٠٨١٦٥٧٩ – ٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣

بريد الالكتروني
basrah@alkaeel.net



في هذا العدد



التعريف والافتتاح ٦

نبذةٌ تعريفيّة بمركز تراث البصرة



أخبار ١٠

أنشطة وأخبار



معالم ١٣

جامعُ وخطوةُ الإمام علي ﷺ



نوافذ ٢٠

شطُّ العرب ماضٍ مُوْرِق وحاضرٌ مؤرِّق



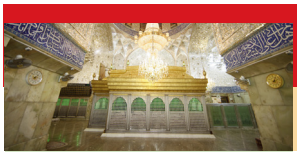
مهن وحرف ٢٨

صناعةُ التّنّورِ الطينيِّ في البصرة



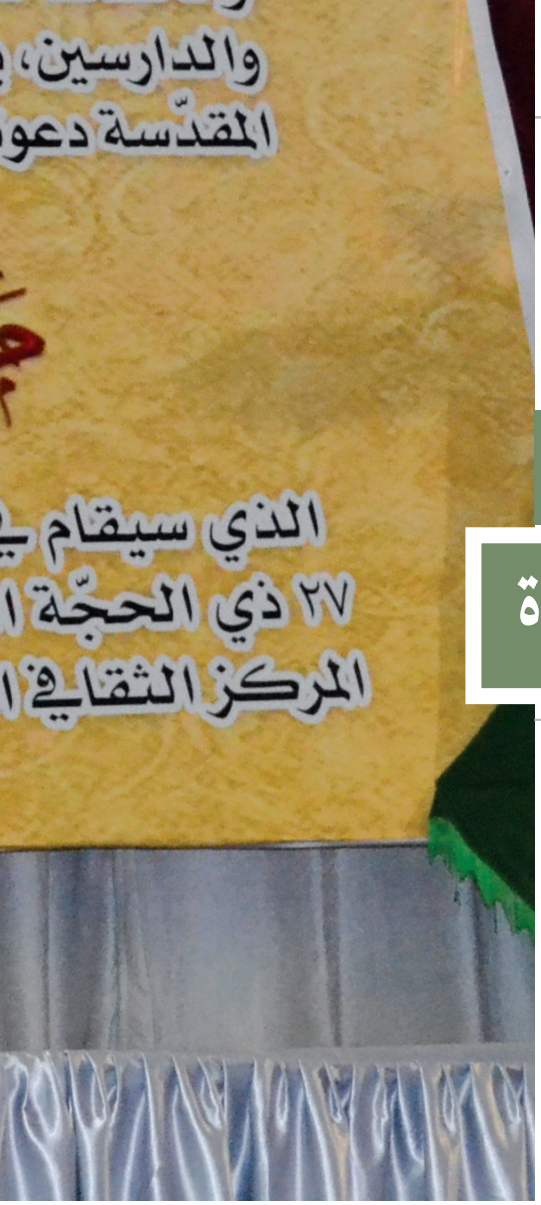
موارد اقتصادية ٤٨

النخيلُ في البصرة (١٩٥٢ - ٢٠١٢)



رموز وأعلام ٦٠

آخرُ شُهدَاءِ الطَّفِّ الهَفْهافُ...



نبذةٌ تعريفيّة بمركز تراث البصرة

• الشّيخ مدرك الحسّون

يُشكّل التراثُ نافذةً من أهمِّ النوافذ لرسم مستقبل المدن، فإذا كان الماضي مسكوناً بالدُّرر، زاخراً بالمحامدِ والعِبَر، فإنّه سيكونُ حتماً من مستلزماتِ الارتقاء، ومنبعاً من منابع التقدّم،

وإنَّ متتبع تأريخ المدن سيجدُ نفسه مأخوذاً بضخامة تراث مدينة البصرة، وما يحتويه من الحُسن والجَمال، إذ هي منذ تمصيرها سنة(١٤هـ) ينبوعٌ للعلم، ومنبتٌ للحضارة ومصدرٌ للإشعاع، فعِلمُ العَروض الشعري، وعلمُ النّحو اللسانيّ، وعلمُ البَصَريَّات، وعلمُ الحساب وغيرها، علومٌ بصْريَّةُ المنشأ، عانقت نخيلَها واستنشقت نسيمَها، وفوق ذلك كلّه فإنَّ ما تنبضُ به البصرة من ولائها المعروف والعَريق لآل البيت عليهم السلام ما لا ينكره مُنكِرٌ ولا يَردُّهُ ذو لبٍّ، فمن هنا أتى مشروع العتبة العبّاسيّة المقدّسة المتمثّل بتأسيس (مركز تراث البصرة)؛ ليكون خطوةً رائدةً في تاريخ الثقافة البصريّة، وعلامةً مضيئةً في حاضر هذه المدينة، وصرحاً علميّاً للدراسين والباحثين يعكس مفاتنها ويزيح الغبار عن ملامحها، ويُعرّف أبناءها بكنوزها، ويتبلور ذلك من خلال أهداف المركز التي يمكن أن نجملَها بما يأتي: جمع ما يمكن جمعُه من تراث المدينة المتمثّل بالكتب، والمخطوطات، والوثائق، والصُّور، والصَّحافة القديمة، والفيديوهات، ومؤلّفات علماء البصرة، التعريف الكامل بالمدينة من الناحيتين الجغرافيّة


سماحة السيد أحمد الصافي في الحفل الجماهيري



والتاريخيّة، وتسليط الضّوء على أدوارها الرياديّة، ودراسة واقعها السياحي، تعميق الصِّلات مع مراكز الأبحاث والدراسات في داخل العراق وخارجه لتبادل الرأي والخُبرة، عقد النّدوات والمهرجانات المؤتمرات، إقامة المعارض للكتب والصُّور والصّناعات الشعبيّة، إصدار الكتيّبات المُعرِّفة بالتراث، وسلسلة أعلام بصريّة، وإصدار مجلّة ثقافيّة تراثية باسم (الخُطوة)، ومجلّة بحثيّة محكّمة باسم (تراث البصرة)، طباعة الكتب والرسائل والأطروحات التي تُعنى بالشأن البصريّ، وكذا الكتب البصريّة القديمة، بعد أنْ تُعرَض على لجنةٍ علميّةٍ متخصِّصةٍ تُقيِّم وترشّح ما يقدَّم من ذلك، توثيقُ المساجد والحسينيّات في البصرة من خلال اللقاءآت الميدانيّة مع متولّيها وأئمة جمعتها أو جماعتها، تمهيداً لإصدار كتاب متخصّص بها، ومثلها في السياق نفسه توثيق الحِرَف والمِهَن البصريّة، إخراج الكوادر التصويريّة في المركز لتوثيق مدينة البصرة حالياً، وبمختلف مرافقها من أنهار وجسور وشوارع وبنايات وأماكن أثرية وتراثية وبيوت قديمة ومساجد وحسينيّات ومقامات إلخ... إنشاءً لأرشيف صورٍ سيغدو تراثاً بصريّاً فيما بعد.

إنَّ جميع ما ذكر معالم لطريق عمل المركز، علماً أنَّ هناك العديد من الأمور الأُخَر ممّا لا يتّسع ذكرها اكتفاءً بهذه الوجيزة، وممّا ينبغي أنْ نُشير إليه أنَّ للمواطن البصري يداً في تفعيل عمل المركز من خلال رفده بالكثير ممّا ذكر، ولو على مستوى تقديم صورةٍ تراثيّةٍ عن البصرة، أو كتاب قديم، أو أثرٍ تراثيٍّ يحكي الماضي، فالأملُ معقودٌ على تضافر جهود الجميع في النهوض بهذا العمل الكبير خدمة للبصرة الفيحاء، ومن الله نستمد التوفيق.

افتتاحُ المَركز

من أجل إبراز التراثِ الثقافيِّ لمدينة البصرة والتعريف بكنوزه، ومن أجل ترسيخ الهويّة الحضاريّة والفكرية لهذه المدينة، والحفاظ على تراثها من

الضياع، وبحضور دولي وجماهيري كبير ضمَّ شخصيّات دينيَّة بارزة، وجمعاً غفيراً من طلبة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف، وشخصيّات اجتماعيّة وسياسيّة وأكاديميّة، وفعاليّات شعبيّة، وقنوات فضائيّة، وطلبة جامعات، افتتحت العتبةُ العبَّاسيَّةُ المقدَّسةُ، وعلى قاعة المركز الثقافيّ النفطيّ في يوم ٢/ ١١/ ٢٠١٣م، الموافق ٢٧ ذي الحجّة ١٤٣٤ه، مركزَ تراث البصرة، ليكونَ رافداً للباحثين والدّارسين.

وكان باكورة نشاطه أنْ أقامَ حفلاً كبيراً في يوم تأسيسه افتتحه الأمينُ العامُّ للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة سماحةُ السَّيد أحمد الصَّافي (دام عزّه)، بكلمة بيَّن فيها دورَ البصرة وأثرَها في التاريخ الإسلاميِّ والحضارة البشريَّة، قائلاً: ((إنَّ من حقِّ الأمم أنْ تفتخر بتراثها، ومن المعروفِ عن العراقيين عشقُهم العلمَ، وغدا العلمُ أينما يذهب يحطُّ رحالَه في العراق، وكانت النجف شعبة من شُعَب هذا العلم؛ لأنَّها جثمتْ على روضة قد ضمّت وصيَّ المصطفى صلى الله عليه وآله وهو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وأصبح العراق بهذا الموجود المقدّس امتداداً لحضارة سالفة وماضية تعلّم فيها البشر ما تعلّم)).

وعن الأهميّة التراثيّة للبصرة، تحدّث سماحته، قائلاً:

((... إنّ تراثَ البصرة تراثٌ عميقٌ، فهو تراثٌ ارتبط بالأرض، والشيءُ إذا ارتبطَ بالأرض يصعُبُ فكُّ الجذور عنه... ونحن لا نريد أنَّ نعرِّف البصرةَ بتراثها، بل نريد أن نتعرَّف على تراثها من أهلها، ومحاولةُ التعرُّف هذه هي بالبحث بيد وفرشاة ناعمتين عن كلِّ ما من شأنه أن يُبرِّزَ هذه المدينة العريقة،...وهي المعروفة بزخارة تراثها الأدبيِّ، إذ تفتّحت عيونُ الأدباء عليها، وعلى الفراهيديّ، وعلى الشّعر، وعلى صحابةِ أمير المؤمنين عليه السلام الذين جاءوا معَه إلى البصرة، وعلى تلك المِدحة التي مدح أمير المؤمنين عليه السلام بها البصرة، فهي تستحقُّ منّا وقفةً جادّةً لإحياء تراثِها والنهوض به)).

وحولَ ما تمتلكه البصرة من مقوّمات ذاتيّة تقدّم سماحته بالقول: ((والبصرةُ بميزاتها الطبيعيّة وطبيعتها الخلّابة، بنخيلها، بشطِّها المتكوّن من ملتقى نهرين عظيمين كبيرين في العراق، لم تكن مُتطفِّلَةً على التأريخ، وإنَّما هي صانعةُ التأريخ))، مبيّناً: ((أنَّ طيب أهل البصرة، وقدرتهم على النهوض كبيرة جداً، فأهل البصرة يمتازون بالعطاء كنخيلها ومياهها...)).

وتابع سماحته: ((عندما ينظر الإنسانُ




الدكتور عادل زيادة
استاذ الاثار في جمهورية المصر العربية


أ.م. عبد الخالق هادي - جامعة صنعاء


الأستاذ قحطان عبد علي عبيد
مدير مفتشية آثار البصرة

إلى الماضي يقفُ إجلالاً وإكباراً لتلك النفوس التي تعبت لترتفع القيمة الإنسانيّة من خلال ما أنتجت مع كلِّ الظروف القاسية التي مرّت بها، فقد كانوا يواصلون الليل بالنهار، من أجل أن يحفظوا لنا ما حُفظ، فمن باب ردِّ الجميل وعرفان الفضل لهؤلاء ينبغي أن تُبذل جميعُ الوسائل، وأن تُتحمّل المسؤوليّة في هذه السّبيل، فالعراق يحتاج كلَّ الطاقاتِ الخيّرة، وهذا المركز - لكي يُكتب له النجاح- يجب أن تتضافر كلُّ الجهود الخيرة، - وما أكثرها في البصرة- في السّبيل التي يجري عليها. وقد أخذنا على عاتقنا أن ندعم كلَّ مشروعٍ يصبُّ في جانب الثقافة)).

وختم سماحة السيّد الصافي (دام عزّه) كلمته بالقول: ((جئنا من العتبة العباسيّة المقدّسة، لنمدَّ أيدينا إلى جميع المثقّفين والعلماء الذين لهم هذه الأصالة والهويّة البصريّة الحقيقيّة، ... فالبصرةُ مدينةٌ قديمةٌ وهذا القِدَم يعطيها هذا البريق، فكلّما كانت أقدم كانت أجمل، وكانت لها هويّة لا يمكن أن تُزوَّر، ولذا فالمركز هو خطوةٌ على الطريق، وبمعونة الأخوة الأعزّاء نأمل من الله تعالى أن يُكتبَ له النجاح، ونأمل من الجميع أن يكونوا روافدَ للبصرة في هذا الجانب)).

ثمَّ تلت كلمة السَّيد الصَّافي كلماتٌ وقصائدُ شعريَّةٌ عَبرتْ عن فرحتها بتأسيس هذا المركز، وعن تفاؤلها بما سيقدِّمُهُ للثقافة البصريَّة.

هذا وقد حضرَ الحفلَ السَّيِّدُ مُحافظُ البصرة الدكتورُ ماجدُ النصراويُّ وعددٌ من مسؤولي المحافظة وأساتذةٌ وباحثونَ عرب وعراقيّون، وكان للأخوة العرب من مصرَ واليمن مشاركة في ذلك الحفل، أشادوا بالخطوة المباركة للعتبة العبَّاسيَّة المقدّسة بتأسيس هذا المركز، ودعوا إلى الاهتمام بتراث البصرة؛ لما للبصرة من أهميّة تأريخيّة وحضاريّة عريقة.

وعلى هامش الاحتفال أُقيمَ معرضٌ للكتب البصريَّة، وآخرُ للصّور الفوتوغرافيَّة التي توثِّقُ جانباً من مدينة البصرة.

وقد جرى توزيع (كرّاس) تضمَّنَ أهدافَ المركزِ وبرنامجَ عملِهِ وهيكله التنظيمي.

أنشطةٌ وأخبار:

شرعَ المركزُ منذ تأسيسه في ٢٧/ ذي الحجّة /١٤٣٤هـ، الموافق ٢/ ١١/ ٢٠١٣م، بالعمل الدؤوب على تجسيد رؤيته وتحقيق أهدافه التي وُجدَ من أجلها، فقام بأنشطةٍ متعدّدة، وهو ماضٍ نحو مستقبلٍ حافلٍ – إن شاء الله – بالمنجزات، وقد حظيَ المركز، فضلاً عن ذلك، بزياراتٍ تركت أثرَها في مسيرته، وفيما يأتي جانب من تلك الأنشطة والزيارات.

استذكاراً لفاجعة الطفِّ الأليمة أحيا مركز تراث البصرة طول مدّة عشرة محرَّم الحرام مجالس العزاء على سيّد الشهداءِ أبي عبد الله الحسين عليه السلام، كما أحيا المركز ذكرى شهادة الإمام زين العابدينَ وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليه السلام، وشهادة كريم أهل البيت الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام في السابع من شهر صفر.

وقد دأبَ المركزُ منذ أنْ فتحَ أبوابَهُ على تأسيس مكتبةٍ تضمُّ عيونَ الكتب التي سترفدُ الباحثينَ بما يحتاجونَ إليه من المصادر والمراجع في مختلف فنون العلم والمعرفة، وستسعى هذه المكتبة لضمِّ ما كُتبَ عن البصرة من كُتُبٍ وروايات ومخطوطاتٍ ورسائلَ وأطروحاتٍ جامعيّة.

ومن أجل الإشراف على أنشطة المركز العلميَّة قامَ المركزُ بتأسيس هيأة استشارة علميَّة ضمَّتْ عدداً من الأساتذة والباحثينَ الأكاديميِّينَ، وهي ماضيةٌ في تقييم البحوث والمقالات والكُتب التي تُقدَّمُ إلى المركز لغرض نشرها وطباعتها.

يُعدُّ النشاطُ التوثيقيُّ من أهمِّ الأعمال التي يقومُ بها المركز، وانطلاقاً من هذا فقد تشكَّلَ في المركز فريقٌ ضمَّ كُتَّاباً مُتخصِّصينَ ومُصوِّرينَ مُحترفينَ، وقد قامَ الفريقُ بتوثيق عددٍ من المساجد والشَّوارع والأماكن الأثريَّة والسياحيّة...، وعملُهُ مُتواصلٌ في جمع الوثائق والصّور التي تؤرِّخُ لمدينة البصرة.

للمركز في الوقت الحالي مجلَّتان:

الأولى: ثقافيَّةٌ فصليّة عامَّةٌ باسم (الخطوة).

والثانيةُ: علميَّةٌ مُحكَّمَةٌ باسم (تراث البصرة)، وقد شرعتْ كلتا المجلَّتين باستلام المقالات والبحوث، لهما.

وقدَ أبدى المركزُ استعدادَهُ لاستلام الكُتُب والرسائل والأطروحات المعنيَّة بدراسة التُّراث البَصريِّ في مختلف جوانبه اللغويَّة والأدبيَّة والدينيَّة والتاريخيَّة والجغرافيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، وغيرها، وفي حوزته الآن عددٌ كبيرٌ قد جرى تقييمُهُ علميّاً وتقويمُهُ لغويّاً، وستُجرى طباعتُهُ في أحسنِ ما يمكن، إن شاء الله.

انطلاقاً من تفعيل برنامج المركز الذي تُعدّ إقامة الحلقات النقاشية الدوريّة إحدى مهامّه، عقد المركز حلقتين نقاشيّتين:

– الأولى بعنوان: (تأسيس مدينة البصرة الحديثة)، ألقاها أ.م.د حسين علي المصطفى تناول فيها بدء الانتقال التدريجي للسكّان من البصرة القديمة إلى البصرة الحديثة، وأسباب ذلك الانتقال، التي من أبرزها، الابتعاد عن خطر الإغارات



والهجمات المتعدّدة التي تعرّضت لها البصرة، وأعمال السّلب والنهب، وانتشار الأمراض والأوبئة، وشحّة المياه العذبة، فاتّجه النّاس نحوَ غابات النّخيل وموارد المياه، ومحاذاة الضفّة الغربيّة لشطّ العرب، ذاكراً أبرز الأُسَر التي بدأت بالنزوح والاستيطان نحو تلك الأماكن، من مثل أُسرة الرفاعي، وأُسرة الدّغمان، وأسرة آل شبيب، وآل عبد السّلام وغيرها، وقد انتهى الباحث إلى نتيجة مُفادها أنّ الهجرة تمّت في العقود الأولى من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي بشكل بسيط، وأنّ المهاجرين اتخذوا عدّة أماكنَ في شرق المدينة وجنوبها الشرقي كقرية ذراع والمشراق وبعض قرى الجنوب مثل مهيجران ونهر خوز والسّراجي، ثمّ نمت تدريجياً إلى أن أصبحت في منتصف القرن السابع عشر مدينة بارزة.

- الحلقة النقاشيّة الثانية كانت بعنوان « دورُ أهل البصرة في نصرة الإمام الحسين عليه السلام» ألقاها أ.م.د جواد كاظم النصر الله، جاءت متزامنة مع أيّام المحرّم، قدّم فيها الباحث نظرة عامّة حول الأوضاع في البصرة إبّان التحرّك الحسينيّ، وأحوال الناس ومدى تجاوبهم مع ذلك التحرّك العظيم، مسلّطاً الضوء على أمرٍ مهمٍّ، وهو مكاتبة الإمام الحسين عليه السلام أهل البصرة، وخصوص أهل الأخماس، والأشراف فيها، وقد بيّن الباحث اختلاف الأسلوب بين البصرة والكوفة في التعامل مع التحرّك الحسينيّ، ففي الوقت الذي كاتب أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام واستقدموه بالكتب العديدة التي صدرت عنهم، خاطب الإمام عليه السلام - شخصيّاً- أهل البصرة، فلماذا خاطبهم؟ وما هو مضمون الخطاب؟ ومن رسوله إليهم؟ وماهي ردود أفعالهم تجاه كتابه عليه السلام؟، جميع هذه الأسئلة طرحت أمام البحث. وقد تضمَّنتْ الحلقتان معلومات مهمَّةً جرى خلالَها نقاشٌ واستفساراتٌ من الحاضرين.



زيارات:

تشرَّفَ المركزُ في الأيَّام الأولى منذ تأسيسه بزيارة الأمين العامّ للعتبة العباسيَّة المقدَّسة سماحة السَّيد أحمد الصَّافي (دام عزّه)، وقد اطَّلعَ سماحتُهُ على سير العمل، وأبدى عدداً من الملاحظات والتوجيهات للعاملينَ في المركز الذينَ تعهَّدُوا بالعمل الجادِّ والمثمر خدمةً لمدينة البصرة وتراثها العريق.

كما تشرّف المركز بزيارة سماحة السيّد


سماحة السيد عز الدين الحكيم والوفد المرافق اثناء زيارته لمركز تراث البصرة

عزّ الدين الحكيم نجل المرجع الديني الكبير السيّد محمّد سعيد الحكيم (دام ظلّه)، بصحبة وفد من فضلاء النجف الأشرف، وقد اطّلع سماحته على وحدات المركز وطبيعة عملها، وبارك جهودَ العاملين فيه، مؤكّداً ضرورة هذا النمط من الأعمال التوثيقيّة التي تشحذ الذاكرة بما اندثر من معالم هذه المدينة، كما قدّم سماحته جملة من التوجيهات الثمينة التي تصبُّ في سياق عمل المركز.

ومازالَ المركزُ يستقبلُ ضيوفَهُ بين مدَّة وأخرى من الأدباء والكُتَّاب والباحثينَ وغيرهم من الزائرين.

جسور:

يحرصُ المركزُ على مدِّ الجسور وإقامة العلاقات مع المجتمع البصريِّ ومرافق الدَّولة، لاسيَّما المعنيَّة بالتراث، وتماشياً مع هذا قامَ مديرُ المركز سماحة الشَّيخ شاكرُ المُحمّديُّ بزيارة البيت الثقافي في البصرة، والتقى مديرَهُ الأستاذ عبد الحقِّ المظفَّر وعدداً من منتسبيه، ودعا إلى ضرورة التنسيق والتعاون بين مركز تراث البصرة والبيت الثقافيِّ للنهوض بالواقع الثقافيِّ البصريِّ بكلِّ ما يمكنُ عملهُ في هذه السَّبيل، وفي السياق ذاته قام


متحف آثار البصرة

سماحته بزيارة إلى مفتّشيّة آثار البصرة، وجدَّدَ دعوتَهُ للتعاون وبَذْل الجهود من أجل حفظ تراث البصرة، وكذلك كانت هناكَ زيارةٌ إلى متحف آثار البصرة الذي يجري العمل فيه الآن في أحد البيوت التراثيَّة (الشناشيل)، وبيَّنَ للقائمينَ على المتحف أنَّ العتبةَ العبَّاسيَّةَ المُطهَّرَةَ على استعداد كامل لتقديم ما يمكنُ لمثل هذه المشاريع التي تخدمُ الواقعَ الآثاريَّ لمدينة غنيَّة بالتراث والآثار.

كما يَقومُ منتسبو المركز بزيارات متكرِّرة لأماكنَ وشخصيّات، يُجرونَ في أثنائها حوارات، ويقومونَ بالتقاط الصّور ذات الأهميَّة التوثيقيَّة والتاريخيَّة.

معالم

جامعُ وخطوة الإمام عليّ عليه السلام

• متابعة : ياسين اليوسف

البصرة أوَّل حاضرة تاريخيّة في الإسلام، وفيها معلمٌ مِنَ المعالم المهمّة ألا وهو مسجدها جامع وخطوة الإمام علي عليه السلام الواقع في مدخل مدينة الزبير غرب البصرة، وهو من المساجد القديمة في العالم الإسلاميّ، أسّس بعد فتحها عام ١٤ هـ على يد عتبة بن غزوان، فكان المسجد الثاني الذي بُنِيَ في الإسلام بعد المسجد النبويّ الشّريف الذي بناه الرّسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله بعد هجرته إلى مدينة يثرب التي تنوّرت بقدومه المبارك.



مسجد البصرة المنسوب إلى الإمامِ أمير المؤمنين علي ﷺ من الوحدات العمرانيّة التي تبيِّن الطِّراز الإسلاميّ الأصيل في البناء والعمران، فهو إرثٌ إسلاميٌّ وتحفةٌ تراثيّةٌ بالغةُ الأهميّة.

لم يقتصر المسجد على إقامة الصّلاة فحسب، بل كان بمثابة جامعةٍ إسلاميةٍ متكاملة، ففيه تُدرَّسُ علوم اللغة والنحو والفقه والحديث والعقائد، وما إلى ذلك من العلوم، وقد وصفه الشاعر أبو عبد الله المفجّع البصري (ت٣٢٧ هـ) بقوله:

ألَا يـــا جـَامعِ البصـ ـرة لا خـــرّبـــك اللهُ
وأسقى صحنَكَ الغيـ ـثَ مـــن المُزن فـــروّاهُ
فكم مـن عـاشقٍ فيـــ ـك يـــرى مـا يتمنـــّاهُ

وذكره ابن بطّوطة في أدب الرحلات عند وصفه مدينةَ البصرة بالقول: (وكنتُ رأيتُ عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناءً عالياً مثلَ الحصن، فسألت عنه، فقيل لي: هو مسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت البصرة من اتّساع الخُطّة وانفساح الساحة بحيث كان هذا المسجد في وسطها).

دخول أمير المؤمنين عليه السلام البصرة:

كان دخول الإمام علي ﷺ البصرة عام ٣٦ هـ لمحاربة أهل الجمل الذين نكثوا البيعة، وبعد دخوله تنامت الحركة الفكريّة والثقافيّة في البصرة، خصوصاً بعد إلقائه مجموعةً من الخطب المهمّة من على منبر مسجدها.

ثمّ إنَّه ﷺ عيَّن على البصرة حَبر الأمّة عبد الله بن عبّاس المعروف بفقهه وعلمه فأخذ يُلقي دروساً في الفقه والتفسير والأخبار، وتخرّج على يديه الكثير من العلماء، كما تشكّلت حينها الكثير من المدارس في الفقه والتفسير والنحو والكلام والأخبار وغيرها.

وفي هذا المسجد علَّم أمير المؤمنين ﷺ تلميذَهُ كميلَ بن زياد الدعاءَ المعروف بدعاء كميل، بعد أنْ قرأهُ الإمام في المسجد فتبعه كميل إلى الدار فعلّمه اياه.

أدوارُ المسجد ومهامه:

للمسجد أدوار ومهامٌّ كثيرةٌ منها:

- **الدورُ العباديُّ:**

إذ تُقام فيه الصّلاة العباديّة، فهو من المساجد الجامعة التي تُقام فيها صلاة الجمعة فضلاً عن الجماعة.

- **سلطةُ القرار:**

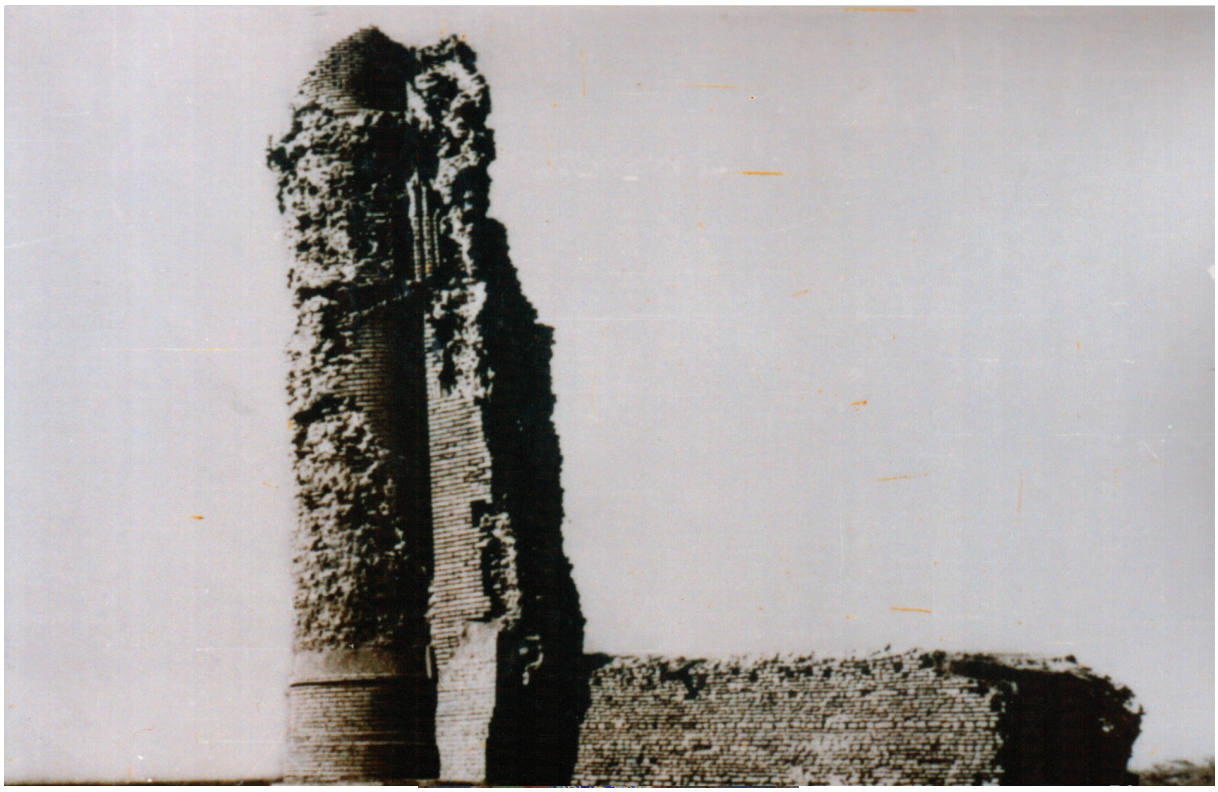
كان جامع وخطوة الإمام علي ﷺ مقرّاً للحكومة يتداول فيه الرأي، وتتّخذ فيه القرارات المهمّة والمصيريّة، وتُعقَدُ فيه الاتفاقيّات وتُرسَل منه الرُّسل وتُستَقبَلُ فيه الوفود، وحتى بعد إنشاء دار الإمارة بقي المسجد محتفظاً بدوره في هذا الإطار.

- **جامعةٌ متكاملةٌ:**

كان جامع وخطوة أمير المؤمنين ﷺ بمثابة جامعة علميّة ثقافيّة متكاملة يجتمع فيه العلماء بمختلف أطيافهم واختصاصاتهم، إذْ تُشكَّلُ في المسجد عدَّةُ حلقات منها ما يخصُّ النحو الذي اشتهرت به المدرسةُ البصريَّةُ، وأخرى تخصُّ تدريس اللُّغة، وثالثة للكلام والقضايا الفلسفيّة، ومن بين أولئك العلماء الذين كانوا يلقون دروسهم في ذلك المسجد أبو الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيديّ، والأصمعيّ، وواصل بن عطاء، وقتادة السّدوسي، والحسن البصريّ، وكانت هذه الدروس تشمل أهالي البصرة والقادمين إليها طلباً للعلم وللتزوّد من علمائها

- **سلطة القضاء:**

يُعدُّ المسجدُ مكاناً لفضِّ النزاعات والخصومات بين الناس في فترةٍ غير قليلةٍ من تأسيسه، إلَّا أنَّهُ استعيض عنه بتأسيس دار القضاء فيما بعد. كما كان مكاناً لتوزيع الأموال على المستحقّين إلى أن أُنشئ بيت المال.



المراحلُ العمرانيّة:

مرّ مسجد البصرة منذ تأسيسه وإلى اليوم بعدّة مراحل عمرانيّة، منها:

مرحلة البناء والتأسيس: وكانت عام ١٤ هـ بدخول عتبة بن غزوان للمدينة وكان بناؤه من القصب، وبعد ثلاث سنوات - تحديداً عام ١٧ هـ- أُعيد بناؤه من اللبن والطين بعد أن توسّعت البصرة، وبعد سنوات زاد في بنائه والي البصرة آنذاك عبد الله بن عامر، كما قام أمير المؤمنين عليّ ﷺ عام٣٦ هـ بتصحيح اتجاه قبلته، وفي عام ٤٥هـ بُني المسجد بناءً محكماً بالآجر والجصّ، وزيد في مساحته، وسُقّفَ بخشب السّاج وجُلِبَ له أعمدةٌ حجريّة من جبال الأهواز، كما وُسِّع المسجد عام ٥٤ هـ.

وبدخول عام ١٦١هـ زاد عدد المصلّين فيه كثيراً حتى بلغ عشرين ألف مصلٍّ، فوسَّعه الوالي محمد بن سليمان بن علي أيّام المهدي العبّاسيّ، وفي عام ١٨٥ هـ تمَّ تسقيفه بعد أنْ تُرِكَتْ مساحةٌ صغيرةٌ في الوسط تظلَّل بالأقمشة الفاخرة، كما أُدخلت دار الإمارة ضمن حدوده، وبحلول عام ٦٢٤ هـ بُني المسجد بالطابوق المزخرف، وجُلِبَتْ الأخشاب من بلاد الهند، وقُطِعَتْ له سواري من جبال الأهواز كما أنشئَ بجانبه رباطٌ للصّوفيّة ومكتبة كبيرة وبُنيَت له سبعُ مآذن، ولم يبق منها إلّا الرُّكنُ الشّماليُّ الغربيُّ.

وفي عام ٢٠٠٠ م ، ١٤٢١هـ بُني بناءً جديداً بطراز لا يتناسب وطرازَه الإسلاميَّ القديم ومكانةَ المسجد وأهمِّيَّته، كما إنَّه يقع خارج حدود المسجد القديم.

خاتمة:

هنا وطأت أقدام أمير البيان ﷺ، وهنا ألقى خُطبه الخالدة، حيث تجلّت قيم السّماء، وانتشر عبَق النبوّة والإمامة، وما يزال هذا الأثر شاخصاً على الرغم ممّا مرّ به خلال الحقب الماضية.



سوقُ الصَّفَّارينَ في البصرةِ



• علي سلمان كنعان

من الأسواقِ القديمةِ التي لها عمقٌ تاريخيٌّ في البصرة سوقُ الصَّفَّارين (الصفافير)، وترجع تسميتهُ إلى "الصِّفر" وهو النحاس الأصفر، وكان يسُمّى سابقاً سوق (موسى العطية) نسبةً إلى أحدِ أساتذةِ المهنةِ المعروفين سابقاً.

و(الصّفَارَة) إحدى الحرف اليدوية المشهورة التي تحوَّلتْ من أسواق خاصَّة بها إلى محال متفرقة، لم يبقَ منها الكثير، ويعتبر النحاسُ المادةَ الأوليَّةَ والأساسيَّةَ لهذه الحرفة، وينقسم عملُ الصفَّارين إلى مَن يضربُ على النحاس نحتاً مُستخدماً المطرقة والمسمار، وبين مختص بتصميم الزخارف على صفائح النحاس، فيما يعكفُ بعضُهم على صقل المنتج وتلميعه ليضفي عليه لمساتٍ فنيَّةً ويخرجَهُ بصورةٍ أكثرَ جماليَّةً.

ولهذا السوق عراقة في مدينة البصرة يعملُ فيه أساتذة المهنة الذين ورثوها عن الآباء والأجداد: ويُعدُّ هذا السوق مركزاً تجارياً في المحافظة، وكان فيما سبق سوقاً رائجاً لتصنيع أواني النحاس وبيعها، يرتادهُ الزبائنُ من العربِ والأجانب ليقتنوا التحف التي تعدَ من التراث

الحاكي عن واقع أهل الجنوب، ويعودُ تاريخُ إنشائه إلى (١٠٠) عام تقريباً، وهو السوق الوحيد الذي تدخلهُ البضائعُ عن طريق (شطِّ العشّار)، وله من الشهرة والسعة بمكان حيث تأتيه البضائعُ والسلعُ من جهاتٍ متعدِّدةٍ من العالم، وخاصَّةً من الهند والخليج وغيرهما من البلدان بواسطة «الدّوب» و «الطبكات» وهي وسائل النقل النهرية آنذاك.

إذ كانَ التجار الهنود يأتون بالتوابل والبخور والعطور وغيرها ويأخذون بدلاً عنها التمر والدبس، ويمرُّون بهذا السوق لاقتناء ما يحتاجونه منهُ كالمبخرة ومرش ماء الورد لتبقى ذكرى تذكِّرهم بمدينة البصرة وتراثها، وأضحى اليوم وكأنه أُصيبَ بالشلل بعد أنْ هجرَهُ اصحابُ المهنِ وكبارُها وروَّادُها.

ولّما كانت هذه التحف التراثيّة لها الأثر الكبير في نفوس السياح العرب والأجانب كان السوق يعج بهم لأنه كان يضمُّ مختلفَ البضائع النحاسية كـ"الدَّلة" بأنواعها وأحجامها المختلفة والمواد المنزلية كأباريق الماء وأباريق الشَّاي والقدور بأحجامها المتنوعة، ومقتنيات العروس البصريّة في أربعينيّات وخمسينيّات القرن الماضي، والفوانيس النحاسية، و"المسخنة"، و"الطشت"، و"الهاون"، فكانت السّوق تعجُّ بالحاجيّات النادرة والتي تحملُ دلالاتٍ تراثيةً يعشقُها بعضُ المتبضِّعينَ المارّينَ بالسوق والباحثين عن الأصالة والتراث، وتقع سوق الصفّارين في البصرة سابقاً في مدخل سوق هرج قرب جامع ومقام خطوة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

أمَّا اليوم فقد هيمنتْ البضاعةُ المستوردةُ على السوقِ المحليَّةِ والمنتجِ المحليِّ واستعاضَ البيتُ البصريُّ عن تلكَ المواد بالمواد البلاستيكيَّة والزجاجيَّة والمواد المصنَّعة من مادة "الستيل" وبقيتْ المواد النحاسية مركونة في رفِّ التحفيات "الانتيكات" باستثناء "الدلة" و "الهاون" فهما المُحرِّكُ لهذه المهنة، والاقبالُ عليهما ما زالَ قائماً، وهذا مما أثر سلبا على الاقتصاد البصريّ إذ انقطع توافد السياح عليها.

وكانتْ سمةُ رفع الصَّوت هي الصِّفةُ البارزةُ في السوق لكثرة الزبائن وتداخل أصواتهم مع أصوات المطارق الحديديَّة، أمَّا اليوم فقد خرستْ تلك الأصوات بعد أن أغلق الكثير من أصحاب المهنة محالِّهم لأسباب كثيرة، فالمارُّ بالسُّوق اليوم لا يسمعُ تلكَ الأصوات التي يعدُّها بعضُهم من عاشقي التراث بالأصوات الموسيقيَّة، ولا يرى تلكَ المعالمَ الأثريَّةَ والسِّياحيَّةَ في البصرة والتي كانت في يومٍ من الأيَّام





مَعْلَماً أثريّاً يؤمُّهُ السيّاحُ من كلِّ حدب وصوب يحملونَ معهم عبقَ التاريخِ وذكرياتِ الماضي.

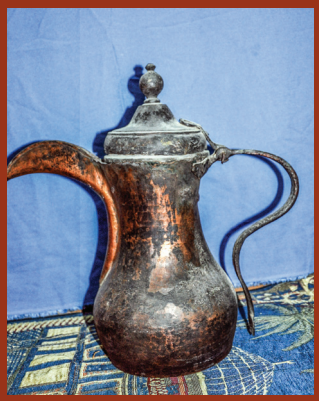
وما زالَ بعضُ الناسِ يُقبلُ على اقتناءِ الموادِ النحاسيَّةِ ويحتفظُ بها لكونها من التراثيَّاتِ والتحفِ التي تمثِّلُ جانباً من الموروثِ الشعبيِّ.

كما إنَّ بعضَهم يُقبلُ على شراءِ "دِلالِ القهوة" و "الهاونِ المَنزليِّ" للحاجةِ إليها وخصوصاً في "المضايف" التي تنتشرُ في جنوبِ العراق، وكذلك تقومُ محالُّ الصَّفارينَ بتجهيزِ مواكبِ العزاءِ في موسمِ شهرِ محرَّمِ الحرامِ وصفر ببعضِ آلاتِ إحياءِ العزاءِ على سيِّدِ الشُّهداء عليه السلام

ويمتازُ الصَّفَّارون - كونهم ورثوا المهنةَ أباً عن جدٍ- بالبراعةِ والقدرةِ على الخيالِ الواسعِ والابتكارِ، لذا نرى محالَّهم كانت مقصداً للسيَّاحِ العربِ والأجانبِ لاقتناءِ أعمالِهم التي تعكسُ إبداعَ وجمالَ ما صنعتهُ الأناملُ العراقيَّةُ وصاغتْهُ على شكلِ لوحاتٍ وأشكالٍ رائعة.

وهذا يحتاجُ إلى صبرٍ ودقَّةٍ وإتقانٍ في العملِ فهي من المهنِ والحِرَفِ الشَّاقةِ.

وفي الختامِ نأملُ من الجهاتِ المعنيَّةِ التي يهُمُّها التراثُ أنْ تُعيدَ الألقَ لهذا السّوقِ ولهذه المهنةِ التُّراثيَّةِ وغيرها من المهنِ الشعبيَّةِ التي تعكسُ حضارةَ البصرةِ وتراثَها، وتحافظُ على ما تبقّى منهُ في عمومِ البلدِ.







الخطُّ العربيُّ والخطّاطون في البصرةِ

• بهاء الدّين الغزّيّ

تُمثِّلُ الكتابةُ العربيةُ وجهاً رائعاً من وجوهِ الحضارةِ الإسلاميّةِ، وهي تتميَّزُ عن مثيلاتِها في الثقافات الأُخَر بكونِها أكثرَ مرونةً في رسم حروفِها وتصميمِها، وهي سِمَةٌ تكادُ تنفردُ بها الكتابةُ العربيةُ بشكلٍ مُميَّزٍ، ولذلك فإنَّ الخطَّ العربيَّ يتمثَّلُ باللوحاتِ الخطِّيَّةِ التي ينفِّذُها الخطاطونَ بصورةٍ شخصيَّةٍ، وتُخَطُّ بأنواعِ الخطوطِ العربيّةِ والزخارفِ الإسلاميَّةِ، وتُعرَضُ عادةً على الجمهورِ في المعارضِ، بوصفها نشاطاً فنيًّاً من الفنونِ الجميلة، وتُكتَبُ بالحبرِ، وبألوانٍ مختلفةٍ.



والحديث عن الكتابة والخطِّ يعني الحديثَ عن الفكر والعلم والمعرفة، وأساليب نقلها من طرفٍ إلى آخر؛ ولذلك تفنَّنَ الخطّاطون في نقل هذه المعارف من آياتٍ قرآنية وأحاديثَ نبويَّةٍ شريفةٍ وحكمٍ ومواعظَ.

ولأهل العراق السبق في الكتابة والخطِّ؛ لأنّه موطنهما الأصليّ بامتياز، ومدوَّناتهم الطينيّة التاريخيّة تشهد بوجود هذا الاهتمام الفكري بالكتابة والخط، كما يقول الخطّاط المرحوم حامد الأمدي في توقيعه وإجازته الخطاط هاشم البغدادي.

يتعلّقُ الخطُّ بالحرفِ العربيِّ بشكلٍ عامٍّ وبالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والحِكم والأقوال بشكلٍ خاصٍّ؛ لأنَّهُ الحرفُ الوحيدُ الذي يمتازُ بالمرونة في التشكُّلِ بأشكالٍ متعددةٍ ومتنوعةٍ تثير الدهشة في نفس القارئ والناظر، وتجلبُ له الأنس وهو يتصفَّحُها متناغمةً في الترتيب؛ وهي سِمةٌ تحتوي بُعداً نفسيًّا من أبعاد التشكيل والتصميم؛ لأنَّهُ يعكسُ إحساسَ الخطاط وروحَهُ في طريقة تصميم الحرف أو العبارات القرآنيَّة وغيرها، فأنْ "تُحسنَ الكتابةَ فإنك تُحسنُ إلى نفسك وإلى عربيَّتكَ"، كما يقول أحد الخطّاطين المبدعين.

بدأ الخطِّ العربي وازدهر مع ظهور الدّين الإسلاميّ على صاحبه وآله أشرف التحية والسّلام، إذ دعا إلى الكتابة، فكان أمير المؤمنين عليه السلام خطّاطاً خاصّاً به ﷺ، ثم تطوَّرت أشكال الخطِّ ووسائل الكتابة، فكان الخطّ الكوفيُّ أوَّلَ نوعٍ ظهر من أنواع الخطوط، وتطوّر الأمر بعده فظهرت المدرسة البغدادية التي تُعدُّ أمَّ المدارس في الخط، وكان على رأسها ابن البوّاب، وابن مقلة، وياقوت المستعصميّ، وغيرهم، من الذين أسَّسوا قواعد الخطِّ العربي ووضعوا أشكاله الأساسيّة التي فتحت الآفاق لَمن جاء بعدهم من الخطّاطين. فظهرت الكتابة بالخط الرِّيَاسيّ والرّيحانيّ والنّسخيّ والثّلث، ثمَّ جاءت بعده الخطوط الباقية كالتعليق (الفارسي)، والرقعة، والديوانيّ، والجلي ديواني، والإجازة.

وللبصرة تاريخٌ مع الخطِّ العربيِّ يعود إلى القرن الأوّل الهجري، فكان مالك بن دينار (ت١٣١هـ) ورُشيد البصريّ خطّاطَين، ولاشكّ أنّ أروقةَ جامع البصرة كانت تحتضن أقلام الخطّاطينَ من النسّاخ، وغيرهم، ولكنّنا لم نعثر – في حدود ما بحثنا– على أقدم الخطّاطين البصريّين – بالمعنى الاصطلاحي للخطّاط – قبل أبي الحسن علاء الدّين عليّ بن محمود اليشكريّ (ت ٥٧٥هـ) الذي تبنّى مدرسة ابن مُقلة الشيرازي البغداديّ، إذْ نشأ في البصرة وتعلّم واشتهر بحُسن الخطِّ، وكان خطُّهُ فائقاً مرغوباً فيه، وهذا الأمر يُشير إلى مشاركة البصريّين في تطوير الخطِّ العربيِّ وفنونه.

يتشكّلُ الخطُّ العربيُّ بتشكيلاتٍ كثيرة، أهمُّها الكتاباتُ داخلَ المساجدِ والحُسينيَّات وغيرها من المواقع الدينية، إذ تنفّذُ الخطوطُ فيها على ثلاثة أساليب، أوَّلُها: الخطُّ بطريقة الكاشي الكربلائيِّ بشكلِ شريطٍ كتابيٍّ داخلَ المسجدِ مكتوبٍ بخطِّ الثلث، وفي بعض الأحيان بالخطِّ الكوفيِّ أو خطِّ النسخ، ويكونُ بحروفٍ بيضاءَ على قاعدةٍ زرقاءَ غامقة. وأمَّا الأسلوبُ الثاني للخطِّ فينفَّذُ على مادة (البورك) إذ تكونُ الحروفُ بارزةً، وهو ما



يُسَمَّى بطريقةِ النقش العربيِّ وتكونُ بألوانٍ عديدة، تُحيطُها زخارفُ نباتيةٌ أو هندسيَّةٌ أحياناً. وبعضُ القبابِ تُزَخْرَفُ وتُخَطُّ بشريطٍ كتابيٍّ يدورُ داخلَ مُحيطِ قاعدة القُبَّةِ الدائريَّة. أمَّا الأسلوبُ الثالثُ فيكونُ بكتابةِ الشريطِ الخطِّيِّ بواسطةِ مادةِ الدهانِ (البُوْيَه) واستعمالِ الفرشاةِ لخطِّ الآياتِ القرآنية، ويُسمّى بالتجاري، وكانَ الخطَّاطونَ الذينَ يمارسونه يُسَمَّونَ بـ(خطاطي بويه)، أي الخطّ غير الفنيّ، وكانَ منهم الخطّاطونَ (محمّد فريد)، و(يوسف فني)، و(سيّد حيدر)، و(شهاب). وبعدَهم جاءَ الخطَّاطونَ (عبّاس المظفَّر)، و(صلاح مهدي)، وقد أقام عددٌ منهم معارضَ فنِّيَّةً نشروا فيها لوحاتهم الخطيَّة.

تختلف حالُ الخطِّ العربيِّ في البصرةِ عن الماضي، توحي إلى المُطَّلع بميزةٍ جديدة تتميَّزُ بها المدينة، وهي تحفل بأبنائها الخطّاطين المبدعين، وأكبرُهم وأقدمهم حالياً الخطاطُ عبدُ الكريم الرُّمضان، الذي أجازهُ الخطاطُ التركيُّ حامدُ الأمدي في اسطنبول سنة (١٩٧٤م) ، وهو على ما يبدو الخطَّاطُ البصريُّ الوحيدُ المُجازُ من بين الخطاطينَ البصريِّينَ الموجودينَ الآن، ولم يمنعه كِبَرُ سنِّه من أنْ يواصلَ إبداعَهُ في مجالِ الخطِّ والزخرفة.

ولد الرُّمضان سنة (١٩٣٩م)، ويروي بداياته في الخطّ قائلاً:



الخطاط عبد الكريم الرمضان

"كنتُ أشاهدُ معلِّمي وهو يكتبُ حكمةَ الأسبوع، وأتابعُ كيفيةَ كتابتهِ حكمةَ الأسبوع وتعامله مع الحرفِ العربيِّ، فأقلِّدُهُ في البيت حينما أعود، ثمّ توسَّعتْ مداركي في المتوسطة، وتعرَّفتُ على الخطاطين وأعمالِهم، وفي نهاية السِّتينيَّات اتّصلتُ بالأستاذ المرحوم الخطَّاطِ هاشم البغداديِّ، وعرضتُ عليه أعمالي فقيَّمها وشجَّعني كثيراً وساعدني ودفعني تشجيعهُ إلى التوسُّع أكثر بالتعرُّف على خطّاطي بغداد، مثل مهدي الجبوري، وصادق الدوري، وغالب صبري، وعلى خطّاطي الموصل مثل يوسف ذنُّون وطالب العزّاوي، وعلى الخطّاط النجفيّ جاسم العكايشي.

وفي سنة (١٩٧٤م) سافرتُ إلى استانبول، والتقيتُ الخطّاط التركي حامد الأمدي، فقدَّمتُ إليه أعمالي، فأجازني في الخطِّ إجازةً تُعَدُّ ثالثَ إجازةٍ يمنحها لخطاطٍ عراقيٍّ، وقدَّر أعمالي وشجَّعني بشكلٍ كبير.

أقام الأستاذُ عبدُ الكريم الرمضان خمسةَ معارضَ، أربعةٌ منها في البصرة، وواحدٌ في ميسانَ، شاركَ في لجنةٍ تحكيميَّةٍ دوليَّةٍ في بغدادَ بمهرجانِ الخطِّ العالميِّ في دوراته الأولى والثانية والثالثة، وما زالَ يُمارسُ الخطَّ بشكلٍ إبداعيٍّ، كأعمالِ الحُروفيَّات.

تخرَّجَ على يديهِ مجموعةٌ من الخطَّاطينَ الجيِّدينَ منهم: عبدُ الكريم ثابت، وحازمُ فرحان، وفاضل شهاب، وابنهُ وائل، ومن زملائهِ الخطَّاطُ المعروفُ عبَّاسُ البغداديُّ.

وهناك شخصيَّةٌ بصريَّةٌ أخرى تتّسمَ بروعة الخطِّ وإجادته، إنَّهُ الخطَّاطُ كمال حسين محمّد الكَنَّاص، من مواليد (١٩٥٩م)، له بدايةٌ لطيفةٌ مع الخطِّ تنطبقُ عليها القاعدةُ الفنيَّةُ: "مَن كانَ رسَّاماً فإنَّ بإمكانهِ أنْ يكونَ خطَّاطاً





الخطاط كمال حسين

وليسَ العكس"..! فكان رسّاماً، وله طريقةٌ خاصَّةٌ بالخطِّ تكادُ تُميِّزُها عينُ الناظرِ عن الخطّاطين الآخرين، وخاصَّةً في خطَّي الرُّقعةِ والنسخ، وقد أبدعَ في كتابة اللوحات، وأمتعَ العيون بطريقته. شاركَ الخطَّاطُ كمال بمعارضَ عديدةٍ، في بغداد، وغيرها من الدول، كتركيا، وحاز على العديد من الشهاداتِ التقديريَّةِ، وشهاداتِ المشاركةِ.



ثمّ يأتي دور الخطّاط وائل عبد الكريم الرمضان، من مواليد(١٩٧١م)، الذي كان سبباً في لقائنا بوالده، يروي بدايته مع الخط قائلاً: في الابتدائيّة كنتُ أقلِّدُ مخطوطاتِ والدي، فأُعجبت بها فتعلَّمتُ طريقة كتابة الزخارف،





الخطاط وائل عبد الكريم

واستفدتُ من تجارب الخطّاطين الأتراك وغيرهم. ثمّ دخلتُ معهدَ الفنونِ الجميلةِ في البصرةِ، فكنتُ أنافسُ المراحلَ الرابعة والخامسة على الرغم من كوني في المرحلة الأولى فأنتجت معرضين شخصيّين في سنتَي (١٩٨٧ و ١٩٨٩م). حصلت على المرتبة الأولى، ثمّ قُبلْتُ في كليَّةِ الفنونِ الجميلةِ ببغدادَ، وأقمتُ معرضاً شخصيًّا عام (١٩٩٤م)، وشاركتُ في معارضَ محليَّةٍ وعالميَّةٍ في مهرجانات بغداد للخطِّ العربي الأول والثاني والثالث والرابع وحصلت على ميداليةٍ برونزيَّةٍ، وفي مؤسَّسةِ الشباب لفنونِ الخطِّ العربيِّ والزَّخرفةِ حصلتُ على المَرتبةِ الثَّانيةِ. وفي معارض عدّة في البصرة، ومنها المعرض الذي أقيم في جامع العرب، وكانت لي المرتبة الأولى.

وشاركت في ثلاث دوراتٍ في تركيا في مركز آر سيكا للفنون، وفي معرض نبيِّ الرَّحمة في المملكةِ المغربيَّةِ، وفي معارض دولة الإمارات في مهرجان البردة.



وشاء القدر أن نلتقي برائع آخر من البصرة وفنّان من فنّانيها، ألَا وهو الخطاط والرَّسَّام عبد الرّضا الذي حصل على شهادات تقديريّة متعدّدة وهو يقول: إنَّ الخطّاط المحترف يختلف عن غيره بأنَّك تراه يسكب من روحه على اللّوحة فلا يرسم لوحةً جامدةً بل ترى فيها من الحركة ما يُبهِرُك، وهذا هو الإبداع، إذ ينقلك إلى عالمه الأرحب.

الخطّاط البصري عبد الرِّضا من أهل التنّومة (قضاء شطِّ العرب)، وهو يثير بأنامله التي لم تكتفِ بالخطّ، بل راحت تداعب مخيّلة الناظر بريشته في التقاط اللحظات الأكثر إثارةً في روح الإنسان.

يمكن للقارئ أن يرسم صورةً واضحةً في ذهنه عن الطاقات المبدعة في البصرة من أبنائها الذين لم يُنصفهم أحد، ولم يهتم بهم وبشأنهم الإبداعي، ولذلك هي دعوةٌ كريمةٌ لكلّ مَن تكون له يدٌ في التأثير على واقع حال البصريين أن يضيف ما يمكنه من إضافةٍ تخفّفُ جزءاً من عناء هذا الواقع المؤلم.



الخطاط عبد الرضا



شطُّ العرب

ماضٍ مُوْرِق وحاضرٌ مؤرِّق

• أشرف عبد الحسن

نهرٌ طالما تأمّلهُ الواصفون والشّعراء بالمديح لمناظره الجميلة إذ كانت أشجار العنب والموز وأنواع التّمر الكثيرة، إنّها جنّة الله في أرضه؛ لما تحمل هذه الأرض من خيرٍ وفيرٍ وأشجار نخيلٍ لا عدَّ لها ولا حصر، وماءٍ عذبٍ سهَّل العيش فيها، وتربيةٍ للمواشي، ممّا جعل الأراضي المحيطة به غنيّةً بمواردها، مكتفيةً بما لديها من خيرٍ أفاضهُ الله عليها، وينسابُ ماؤهُ بعذوبة وطيبة أهله، وفي غروب الشّمس نسيمٌ يهبُّ ليحكي روعة المكان، ومنظرٌ أبدع الخالق في صنعه، فكلُّ صورةٍ ورسم لا تضاهي الجلوس لحظةً على ضفّتيه، فتشعر بصفاءٍ وطمأنينة، وفي لياليه حكاياتٌ لضوء القمر تُداعب أمواج النّهر، فجمالهُ يسلب الألباب، نهرٌ معطاءٌ يسحرك بمناظره الخلّابة، وترى الزّوارق والسّفن الكبيرة المحمّلة بالبضائع، وكان هناك جسرٌ خشبيٌّ صغيرٌ ينقطع في اللّيل لمرور هذه السّفن إلى ميناء المعقل، فضلاً عن وجود الأبلام الصّغيرة، ويسمّى(البلم العشّاري) وهو مركبٌ خشبيٌّ صغيرٌ كان يستخدم لنقل الأشخاص بين ضفاف شطِّ العرب، ونقل المحاصيل الزّراعية وخاصةً التّمر والرّطب، ويستخدم في الوقت الحالي للسياحة، ويرسو على ضفّة الشَّطِّ عند جهة العشّار، وهناك أيضاً (الطبكَة)، أو العبّارة وهي وسيلةُ نقلٍ مائيَّةٍ سبقت جسر التنّومة في نقل



الأشخاص من العشّار إلى التنّومة وبالعكس، وكانت تعمل ليل نهار، وعلى ضفاف شطِّ العرب ونوارسه المحلّقة في سمائه الصّافية ترى صيّادي الأسماك جالسين على ضفّتيه لصيد الأسماك ويُسمّى بـ(الحداكَ) فيرمون (البِلد) وهي عدّة صيدِ السَّمك كاملةً من خيط وخشبة يلفُّ عليها الخيط مع الخطاطيف بدون قصبة، أو في الأبلام وهم يقومون برمي(الشّصّ) في النهر، وكان الصّيد من الموارد الأساسيّة التي يعتاش عليها الناس، ومن الأسماك المعروفة في شط العرب (سمك الشّانك والشلك والقطّان والسمتي والحمري) وغيرها، ويرتاد الشّطَّ الكثير من الصّبية والكبار الذين ينزلون إلى الشَّط للسّباحة واللّهو، للترويح عن أنفسهم وخصوصاً خلال فصل الصّيف وارتفاع درجات الحرارة، وهذا ما يضيف إلى جمالية المكان جمالاً آخر، ومن الأماكن الترفيهيّة والسّياحيّة كورنيش شطّ العرب الذي كان مكتظاً بأحلى الأماكن السياحية من الكازينوهات، وهو موقع رائع تذهب إليه العائلات للتمتّع بالأجواء الجميلة والمناظر السّاحرة وكان يقصدهُ الزّائرون من محافظات العراق ومن دول الخليج ومن سيّاح العالم، ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي، وعند اندلاع الحرب العراقيّة الإيرانيّة، بدأ شط العرب يفقد حيويّته وملامحه، اذ تساقطت أشجارهُ بفعل القنابل وترسُّب الأطيان والسّموم التي يلقيها مصفى عبادان، وبقايا السّفن الغارقة فيه، وقد امتلأ بالفضلات والملوّثات التي حملتها مياه دجلة والفرات والكارون، ومياه البزل من الحقول الزراعيّة، أما الآن فيشاهد الرائي على ضفّتي الشّطّ الكثير من النفايات كالقناني البلاستيكيّة وأكياس النايلون والصّفائح المعدنيّة، كل ذلك قد شوّه صورة ذلك الشّطّ ومناظره الجميلة.

فهل يا ترى تعود البصرة كما كان يُطلق عليها (فينيسيا الشرق الأوسط) أم أنَّ الإهمال والمشاريع الكبرى ستبقى حبيسة الرُّفوف، هذا تساؤل نطرحهُ وجوابهُ كبقيّة المشاكل التي يعاني منها البلد وبعضها أصبح معضلةً، والحال هو عدم تكاتف الأيدي وتعاونها لبناء هذا البلد الجريح، فكلُّ الموارد الطبيعيّة والبشريّة، من الموازنة الهائلة إلى الكوادر والخبرات المعطّلة تستطيع أن تنهض بهذا الواقع المرير، وتعود تلك الأجواء الجميلة التي نتمنى أنْ يمنَّ الله علينا بها بالسَّلام والطّمأنينة.





صناعة
التّنّورِ الطينيِّ في البصرة

• متابعة علي النجَّار

تكاد الصناعات الشعبيّة الأهليّة تنقرض شيئاً فشيئاً بسبب التطوّر الصناعيّ الذي سدَّ حاجة السّوق من السِّلع والصِّناعات، وراح الريف العراقيُّ يستغني عمَّا كان يستعمله من قبل، ومن ذلك تنّور الطّين الذي كان يشيع استعماله بين الناس، ما دفع بالأهالي إلى اقتناء الجديد من الأدوات المستعملة في الطبخ وغيره، وهذه الأدوات كان الريف العراقي -فيما سبق- يضجُّ بصناعتها متخذاً من البيوت وأفنيتها مجالاً رحباً لنشوئها وكثرتها ومن أبرز هذه الصناعات هي صناعة التنور الطيني الذي يستعمله أبناء الريف في جنوب العراق على الأكثر .



وتختلف طريقة صناعته من منطقةٍ إلى أخرى من جهة المواد التي تستعمل فيه، ففي محافظة ذي قار يدخل الطين «الحرّي» عنصراً أساسيًّا في صناعته فضلاً عن مادّة التبن، التي تُفتّت بشكلٍ ناعم جداً، وتخلط مع الطين بعد عملية تشبه (التخمير) في الماء تستمرّ لمدّة يومين أو أكثر ويُعجن الطين بالتبن بشكلٍ متجانسٍ جداً، ثم تُصنَعُ منه كراتٌ



متوسطة الحجم ثمّ تبدأ العاملةُ بصنع الحلقة السفلى (الأرضيّة) التي عادة ما تكون أكثر اتساعاً في القطر من القرص الذي يليها من فوق حيث يبلغ قطرُها ٨٥ سم للتنور الكبير الحجم و٧٥ سم للتنور المتوسط و٧٠ سم للتنور الصغير. وتصاغُ على شكل حواف دائريَّةٍ صغيرة تُوضَعُ الواحدة فوق الأخرى لتكون في النهاية عدة طبقاتٍ مدوَّرة حول نفسها ثم تُجعَلُ حافة التنور العليا أكثر سمكاً من سابقاتها وتعمل هذه باليد بشكل طبقة جدارية مستديرة ثم تلصق فوقها طبقة أخرى أقل قطراً منها ثم ترصُّ جيداً بحيث لا تترك ثغوراً ينفذُ منها الهواء أو تشققاتٍ تسبِّبُ التكسُّرات وهكذا حتى ينتهي تراص طبقات التنور على شكلٍ مخروطٍ ثم يمسح ظاهره باليد المبللة مرة أخيرة للتأكد من صلاحية التحام أجزائه وبذلك يكون «التنور» وهو يرتفع إلى علو مترٍ أو أكثر تقريباً. وفي مدينة البصرة يُصنع التنور بطريقةٍ مختلفةٍ بعض الشيء، إذ يُصنَعُ من الطين الحر النظيف (الحرِّي)، بعد أن يتم خلطه مع قليلٍ من التبن ليصبح قوياً ومتماسكاً بدلاً من (الروث) بعد أن يتمّ تنقيعه بالماء لمدةٍ معينةٍ تشبه سابقتها ويُبنى على أرضٍ منبسطةٍ ونظيفةٍ، وتترك فتحة صغيرة في أسفله تسمَّى (الخنارة) وهي خاصة لإشعالِ النارِ وللتهويةِ وبعد أنْ يكملِ بناء التنور يترك ليوم واحد حتى يجفَّ ثمَّ يجري فخره.

وميزةُ هذا التنّور تكمنُ في الوقودِ المُستخدم فيه إذ يمكن أنْ يكون من الخشب أو كرب النخيل أو أي نوع آخر من الحطب المتوافر، وتبدأ عملية الخبز عندما يصبح سطح التنور الداخلي أبيض دليلاً على وصول الحرارة بداخله إلى المستوى المطلوب.
وتختلف طريقة وضع التنور لغرض الاستعمال فهناك من يضعهُ على الأرض مباشرةً وتعمل له قاعدة من أجزاء الطابوق مع الجص ثم يغلَّفُ بنائه بأجزاء الطابوق والجص على شكل مربع يُحيط بالتنور لحمايته، أما الآخرون فيفضلون وضعَهُ في حفرة يُقدَّرُ عمقُها بطول التنور وتُرتَّبُ جوانبُه بنفس ما ذكر حتى إن أمَّ البيت تخبز وهي جالسةٌ على الأرض.
لقد كانت صناعة "التنّور" شائعةً في ريف البصرة، كما كانت تنتشرُ أيضاً في مركز المدينة، ومتابعةً منّا، وحِرصاً على إبراز التراث الشعبيّ العراقيّ وخاصّة البصريّ منهُ، بحثنا بين البيوت الشعبيّة الريفيّة العراقيّة التي ما زالت تصنع هذه "التنانير" الطينيّة؛ لنكتشفَ جزءاً من عالمها المنسيّ، ونسلِّط الضّوء على هذه الصناعة الشعبيّة المنسيّة في تراثنا .
وقد التقينا بامرأةٍ بصريَّةٍ تبلغُ من العمر ما يقاربُ (السبعين عاماً) تُدعى (سكنة خلف) وهي تسكنُ في منطقة "المطيحة" في البصرة، فكان هذا اللقاء معها :



- متى بدأتِ بتعلّم هذه الحرفة حاجّة سكنة ؟

كنتُ أعمل بهذا العمل منذ نعومة أظفاري وتوارثتُ هذه المهنة وهذا العمل من أجدادي .

- كيف تصنعين التنور ؟

نحن نصنع التنور من مادة الطين ويخلط معه التبن، لكي يتماسك الطين جيِّداً .

- كم يستغرق العمل فيه ؟

تختلف المدة في صناعة التنور من وقت لآخر ومن فصل لآخر، فقد يستغرق العمل في التنور الواحد خلال الصيف حتى يكمل ويجف خمسة أيام، أما في فصل الشتاء فيستغرق العمل حوالي عشرين يوماً، بحكم الرطوبة والبرودة.

- كيف يُهيَّأ التنّور للعمل ؟

نحن نقوم بعملية (فخر) التنور بالنار جيداً قبل استعماله للخبز، وذلك بإشعال النار فيه لمدة يومين، وتركه بدون استعمال، وبعد ذلك يُنظَّفُ ويستعمل .

- ما أسعار التنانير ؟ بكم تبيعين التنور الواحد ؟

تختلف أسعاره من حجم لآخر، فالكبير يباعُ بـ ٣٥ ألف دينار، ويتراوح سعر الوسط من ١٨ – ٢٥ ألف دينار، والصغير يباعُ بـ ١٠ آلاف دينار .

- هل يوجد إقبال على الشراء في يومنا هذا؟

نعم يوجد إقبال ولكن على مستوىً محدود، بسبب ظهور التنّور المعدني الذي يعمل على الغاز.



صناعةُ الفَخّارِ

• السيّد شبّر السّويج

للإنسان علاقةٌ وثيقةٌ بالفَخّار، إذ إنّ أصلَ خلقته من الصّلصَال، وذلك من قولِه تعالى في سورة الرحمن الآية ١٤: «وخُلقَ الأنْسانُ مِن صَلصَال كَالفَخّار»، وإنَّ الصّلصَال (الطّين) إذا خُلط بالرّمل وماءِ السّماء بنسب دقيقة، وطُبخَ بالنارِ، سُمِّيَ (الفَخّار). وهذه العُلقة والنّسب المتساوية بين الصّلصَال والمَاء دليلٌ على وجود الصّنعة التي تحتاج إلى يد مُبدع« .. فتبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخَالِقينَ» المؤمنون:١٤.

وَقَد أخذَ ابنُ آدمَ -وهو المَخلوقُ من أديم الأرض «ولَقَد خَلَقنَا الإنْسَانَ مِن سُلالةٍ مِن طِين»- هذه الصّنعة بالفِطرة، وبحكم حاجته تدَرّجَ فيها، وأبدعَ في ازدهارها وتطويرها. فهي حرفةٌ شعبيّةٌ تراثيّةٌ موروثةٌ، قد اشتهرَ بها أهلُ وادي الرافدين في أغلب مُدُنه، ومنها البصرةُ الفيحاءُ، مدينةُ العَطاء التي فيها من مقوِّماتِ هذه الحرفة الكثير.

فالطّينُ المستخدمُ في هذه الصّنعة لابُدَّ أن يكونَ من التراب الأحمر الخالي من الأملاح، المختلط بماء المَطر، البعيد عن المناطق السكنيّة، وأن يكون خلواً من أيِّ شوائب، وأن يُطحنَ هذا التّراب ويغربلَ جيّداً؛ حتّى يصيرَ ناعماً، ثمَّ يُخلطُ معه نفّاش القَصَب والبردي ليُساعدَ على تماسك الطِّين، ويُعجنُ ويتركُ مدّةَ يوم كامل، وبعدها يُعمل منه أسطُواناتٌ مدوّرةٌ من الطّين المتماسك(فَتلات)، توضعُ على أداةٍ بسيطةٍ متكوّنةٍ من المحوَر والشّفت، وهو عمودُ حديدٍ له قاعدةٌ تُحرَّكُ بالقَدَم، تدورُ حولَ نفسها، قد ثُبّتت في الأرض بواسطة المحوَر، وبعد ذلك تُصاغُ هذه الأسطوانةُ الطينيّةُ بيد الإبداع والفَنِّ للخَزّاف، إذْ تظهرُ بأروع الأشكال.

والخزّاف تحسين عبد الواحد مواليد ١٩٦٣م، من سَكنة البصرة القديمة، واحدٌ من أولئك المبدعينَ في هذه الحرفة، إذ بدأ العمل في هذا الفنِّ منذُ نعومة أظفارِه معَ والده وأعمامه وجدّه زاير علي رحمه الله، في منطقة العشّار (الداكير)، متوارثاً هذه المهنة الشعبيّة التراثيّة عنهم، وهم الذين يسمِّيهُم النّاس ببيت الدّوغجيّ، نسبةً للدّوغة، وهو المكانُ الذي تُفخر فيه الأواني، وقد بيّن لنا كيفيّة صناعة الأواني الفَخّاريّة، إذ تمُرُّ بثلاث مراحل:

المرحلةُ الأولى هي صياغةُ الثلث الأوّل وتركُه ليجفَّ تحتَ أشعّة الشّمس مدّةَ يومين؛ وفي المرحلة الثانية يُصنَعُ الثُلث الثاني، ويترك -أيضاً- ليجفَّ كما مرّ، ثُمَّ تأتي المرحلةُ الثالثةُ وهي الأخيرة ليُصَاغ الثُلث الأخير، هذا إذَا كانت الآنيةُ كبيرةً كالحبِّ والبستوكة، وبعد الانتهاء والجَفاف يُدخلها في الكُورَة (الفُرن)، وهي تُشبهُ كُورَةَ معملِ الطابُوق، مصنوعةٌ من أحجار حراريّةٍ قويّةٍ تتحمّلُ الحرارةَ، تقومُ بفخر الآنية تحتَ حرارةٍ معادلةٍ لأربعمائة (٤٠٠) درجةٍ سيليزيّةٍ، ولمدَّة ثماني ساعات، وبعدما تُخرَج هذه الأواني من الفُرن، تُترَك لتبرُد، ثمَّ تُستعمل، كلٌّ بحسب حاجته.

ولهذه الأواني الفَخّاريّة أشكالٌ متنوِّعةٌ، واستعمالاتٌ متعدّدَةٌ، وأنّ لكلِّ واحدٍ منها اسماً ووصفاً خاصّاً به، فهناكَ (الجَرّة) وهي الإناءُ الذي يُشربُ به الماء، ويسمَّى عند أهل البصرة (الشِّربَة)، وهناك (الحبُّ)، وهو خازن ماء الشُّرب، الذي يكون ماؤه بارداً بسبب قابليّته للتبريد عند ضَرب الهَواء على المسامات للخَزَف، ويسمَّى أيضاً (زير)، وهناك (البستوكة)، وهي تختلفُ عن غيرها، إذ لقسمها العلويِّ طلاءٌ أزرَقُ اللون خاصٌّ به، وهي تُستعمل لحفظِ الغذاء، خصوصاً



الطرشيّ، والدّبس، والسّكنجبيل، والخلّ، وغيرها من الموادّ التي تحفظ فيها.

وأمّا ألوانُها التي تزيّنها فهي في الأغلب طبيعيّة، فاللونُ الأحمرُ هو لونُ الطّين الحُرِّ الحَيِّ المستعمل في صناعتها، واللون الأبيضُ يكمُن سرُّهُ في إضافة شيءٍ من الملح على الطّين قبل العَجن، وبإضافة النفّاش للتّماسُك، واللونُ الأسودُ يتأتّى من إحكام إغلاق فُوَّهَة الكورة، فتُسَدُّ المَساماتُ، وتكتسي الآنيةُ اللونَ الأسوَدَ.

لقد كانَ لهذه الأواني الفَخّاريّة، والتُّحفيّات، طلبٌ وسوقٌ رائجةٌ في الأربعينيّات، وعليها إقبالٌ من السُّكّان المحلِّيِّين، وغيرهم من الدّول المجاورة، إذْ لم تكن هناك أدواتٌ منزليّةٌ متطوِّرةٌ وحديثةٌ. وقد استمرَّ هذا الأمر حتّى ثمانينيّات القَرن الماضي، فلَم تدخُل سوقَ البّصرة فَخّاريّات مستوردة في ذلك الوقت، فما هو موجودٌ في السّوق البَصريّة من الفَخّار هو إبداعُ يدِ الخَزّاف البَصريِّ. ولَكن، بعد سقوط الصّنم ودخول الحداثة والأجهزة، قلَّ الطّلبُ بنسبة ثمانينَ بالمائة، إذ يُقتَصَرُ اليوم على استعمال بعض الآنية الفَخّاريّة، كالحبِّ، وفي مناطقَ محدَّدةٌ، خصوصاً في القُرى والأضرحة التي فيها، نَعَم، دخل





إلى السّوق بعضُ التُّحفيَّات ذات الألوان الجَذّابة المختلفة، من الصِّين وإيران، ولكنَّها لا تصلُ في الجودة إلى ما أبدعتهُ يدُ الخَزَّاف العراقيِّ، والدليلِ على ذلك أنّ الطّينَ المستعملَ في هذه الحِرفة من وادي الرافدين، وله خصوصيّةٌ، ولطريقة الصُّنع خُصوصيّةٌ أيضاً، فهذه الأوانَي المستوردة سريعةُ الانكسار، وليس لها خاصّيّة التبريد، كما في الحِبِّ، والتنكَة، (أي الشِّربَة).

ومِن جميلِ ما ذكره لنا الخَزّاف تحسين الدوغجي من خلال ممارسته هذه المهنة، التي عاصر فيها كبار محترفيها، أنّه لَمس شيئاً، وهو لديه واضحٌ جليٌّ، أنّ النّاس في السّابق كانوا يشربونَ ويأكلونَ من هذه الأواني الفَخّاريّة التي تعود إلى الطّين، الذي هو أصلُ خلقة الإنسان ،كما أوضح ذلك اللهُ تبارك وتَعالى في كتابه المجيد في سورة المؤمنون الآية ١٤، إذ قالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾، فلَم تكن هناكَ أمراضٌ، ولم نسمَع عن مرض غريب، فكُلُّ ما نراه اليوم ونسمعُ عنه، هو من خلال استعمال الأواني البلاستيكيّة المُعادَة، وغيرها، ممّا يدخلُ في صناعتها الحديدُ والفلزّاتُ، ويؤيّد ما لمسهُ الدّوغجيّ مجيءُ عدّة أطبّاء إلى محلِّه لشراء الحِبِّ وغيره، وعند سؤاله إيّاهم عن سببَ ذلك؟ يقولونَ لهُ: نحنُ لا نشربُ الماء حتّى يلامسَ الطّينَ، ولو بأنْ نضعَه قليلاً في الحِبِّ، ومن ثَمَّ ننقُله إلى الثلّاجة، وهذا الأمرُ يعودُ لما يمتلكُهُ هؤلاء من العلم بواقع تلك الأمراض، وسبب انتقالها إلى جسم الإنسان، وقد نوّهنا إلى عُمق العَلاقة الوثيقة والإبداع في أصل خلقة ابن آدمَ، والطّين الذي يدخلُ في حِرفة الفَخّار.

ومن هذا المُنطلق والمُؤيَّد الذي ذُكر، نَودُّ أن نَلفتَ عنايةَ القُرّاء الكِرام إلى ضرورة النهوض بواقع هذه الحِرفة التي شهدت في هذه الأيّام تراجُعاً واضمحلالاً بعدَ ذلك الازدهار في تلك الأيّام والسّنينَ الماضية، التي لم تشهد مثلَ هذه الأمراض التي يُصابُ بها الكثيرُ من النّاس في أيّامنا، لهذا السبب ولغيره من الأسباب التي قد يكون منشؤها الاستعمالاتُ والاحتكاك بموادَّ داخلة في صناعة كثيرٍ من الموادّ التي نستعملُها.

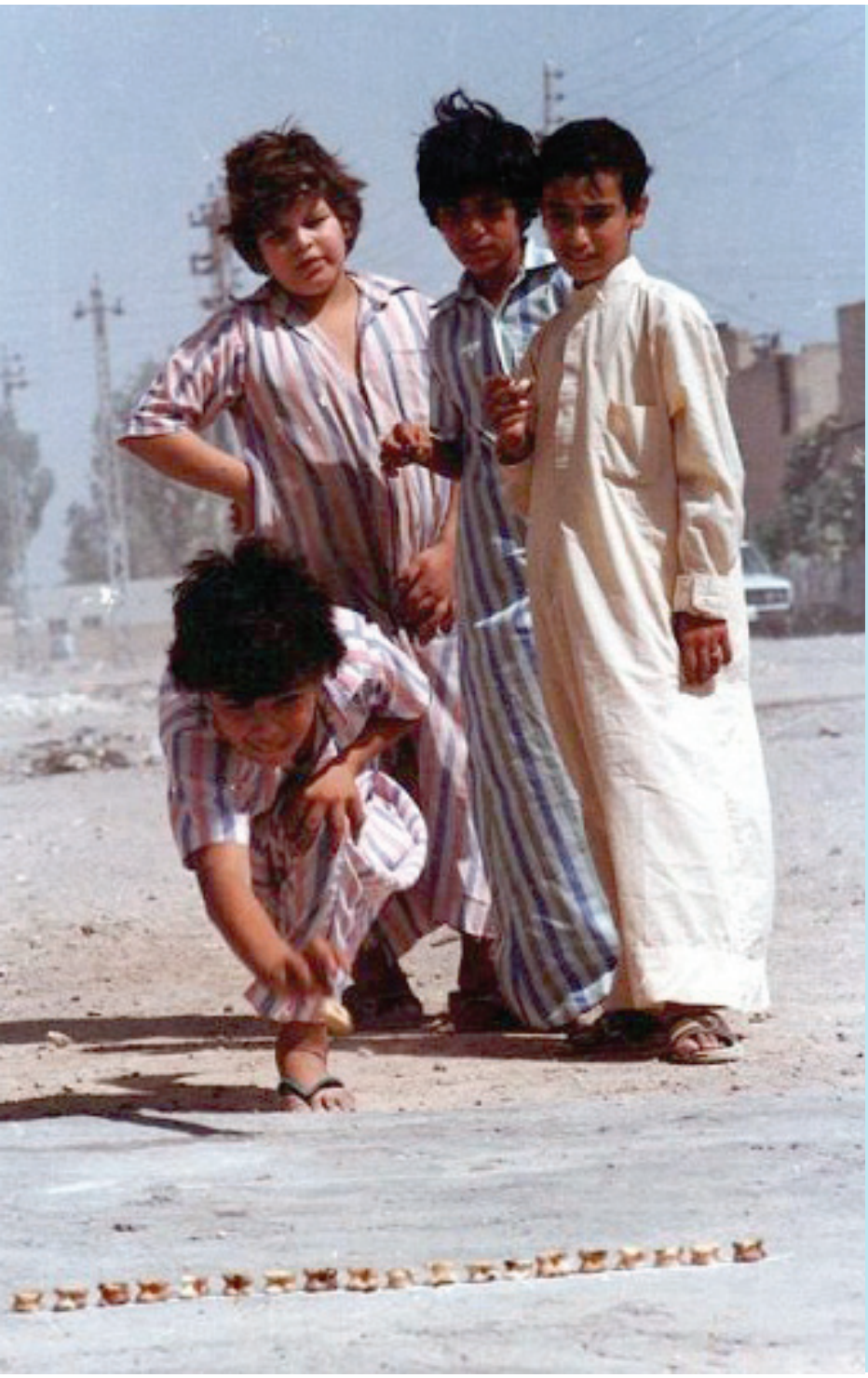
وأخيراً أودُّ أن أُشيرَ إلى الحَسرة والمَخاوف التي بدت في كلام الدّوغجيِّ، إذ تأسّفَ على أنّه لا يوجدُ غيرُه ممّن يمتهنُ هذه الحِرفة في هذه الأيّام، وهو خائفٌ من اندثار هذا المَوروثِ والتُّراث الشّعبيِّ.



الألعاب الشعبية: بخسٌ وإهمال...

• جعفر خليل خير الله

في خِضَمِّ الأحداث المثيرة التي مرَّ ويمرُّ بها بلدنا، قد يَعُدُّ البعضُ الحديثَ عن الألعاب الشعبية بَطَراً، أو ضرباً للأولويات، ومن هنا انصرف النظرُ بعيداً عن أمورٍ كثيرةٍ، لها أهميّةٌ واضحةٌ في تثبيت «طعْم ولونٍ ورائحةِ» هذا الشعب، كالممارسات الاجتماعيّة والموضوعات التراثيّة والصّناعات المحليّة، وغيرها من الأمور التي تُعَدُّ إفرازاً طبيعياً للمجتمع، فأنت تستدلُّ على أنَّ الشخص «بصراوي» بقوله كلمة خاصة، أو «حِلِّيٌّ» لمعرفته بلعبةٍ معيّنةٍ، أو يقول لكَ أحدٌ: «كأنَّك من أهل القرنة»؛ لأنَّك تسهرُ في «الديوانية» مع الأصدقاء، مثلاً. فاللهجةُ والتقاليدُ والحِرَفُ والألعابُ المنبثقة من مجتمعٍ ما، ترسم وتُلوِّنُ شكل ذلك المجتمع.



الألعاب الشعبية واحدةٌ من المظاهر التي تنبعث منها رائحة مجتمعنا العراقيِّ عموماً والبصريِّ خصوصاً، والاهتمام بها هو اهتمامٌ وتمسُّكٌ بتراثنا، وعنايةٌ بصحّة أطفالنا، فلو أردنا أنْ نُقارنَ علمياً بين الألعاب الحديثة، وألعابنا الشّعبيّة القديمة، لاتفقنا جميعاً على ترجيح كفّة الثانية من الناحية الصحيّة والنفسيّة والاجتماعيّة، ورُبَّما حتى الاقتصاديّة. ووفقاً للبديهية العلميّة فإنَّ النشاطَ البدنيَّ له أكثر من تسع فوائد: لصحّة القلب، ضغط الدم، الوزن، العظام وعضلات الجسم، النوم، القضاء على الاكتئاب، وغيرها، فهو ينشّط عضلةَ القلب والدّورة الدموية، ويعمل على استهلاك فضلات الدهون والسُّكريات التي تتحوّل، من دون الحركة، إلى شحوم متراكمة في الجسم، كما يساعد على تعزيز توازن مستوى الكوليسترول، وذلك برفع مستوى البروتينات الدهنية عالية الكثافة HDL التي تنقل الكوليسترول من الجسم إلى الكبد للتخلص منه، فيقلّ خطر الدهون المسببة لأمراض القلب التاجية "Coronary Heart Diseases "CHD.

يساعد النشاط البدني، أيضاً، على النوم؛ إذ إنَّ انخفاض درجة حرارة الجسم بعد ارتفاعها – بسبب اللعب – يساعد على النوم السريع، وكلّما كان النوم سريعاً وسهلاً بلا أرق، كان مريحاً وعميقاً، فالدماغ يعوّض الإجهاد البدني بزيادة وقت النوم العميق.

أمّا بخصوص الاكتئاب، فإنّ للنشاط البدني جنبتانِ في مكافحته، فهو انشغالٌ يُبعدُ الأفكار السلبيّة التي تسبب القلق والاكتئاب، ومن ناحية أخرى، يساعد على إفراز المواد الكيميائيّة في الدماغ التي تخفِّفُ الاكتئاب، كما أنّ زيادة درجة حرارة الجسم يكون لها تأثيرُ المهدئ.

كلُّ هذه الفوائد – وأكثر – نجدها في الألعاب الشعبيّة "الإجهاديّة"، التي كانت تُحوِّلُ اليومَ إلى رحلةٍ





مليئةٍ بالتعب المُسلِّي والإجهاد النافعِ للجسم، وكلنا نتذكر قبل الغروب، تستقبلنا أمهاتنا بغضب مُصْطَنَع ممزوج بالفكاهة والرحمةً، فنُقادُ ً إلى "الحَمَّام" مفعمين بالمرح، والأذهانُ خاليةٌ من أيِّ هاجس سوى بقايا أجواءِ لعبةِ "الدوّامات" أو "الطيّاراتَ" أو "صكَلة ولاك" أو "الفرّارات" أو... أو... أمّا الألعاب الحديثة، فغالباً ما تكون جامدةً، لا تُجهدُ سوى النظر وفقراتِ الظَهْرِ والعُنق. نعم، قد تُنَشِّطُ الذهنَ بنسبةٍ ما، لكنها تُبقي الطفل أو الصبي يلعب "محبوساً" في عالَمٍ بلا روح، ينشدُّ إليه بطريقةٍ تعزلهً







اجتماعياً، خلاف اللعب البدني "الإجهادي" مع أولاد المنطقة والجيران، يشدُّهُ للحياة أكثر، ويقوّي ارتباطه بأرضه وأناسه، ثمّ إنَّ الألعاب الحديثة تورثُ السمنةَ والخمولَ العضليَّ وترهّلَ الجسم، وهذا ما نراه واضحاً لدى بعضهم.

لو غَيَّرْنا زاوية النظر إلى هذه الألعاب التراثيّة، فسنجدُ شعوباً تمسّكت بتراثها، بما فيه، الألعاب الشعبيّة، واستطاعت بذلك أنْ تُثبِّتَ لونها على لوحة الحياة قِبالَ الشعوب الأخرى، بل إنَّ بعضها طَوَّرَت هذه الألعاب، حيث جَهَّزَت لاعبيها بتجهيزات حماية وأنشأت الملاعب والساحات المتخصصة، وأقامت لها المهرجانات الكبيرة، وبذلت لها أموالاً كثيرةً، واستطاع بعضها الآخر أنْ يجعلها عالميّةً، وذلك تصديراً لثقافته وتعريفاً بهويّته، فمثلاً في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، في إمارة الشارقة تحديداً، يوجد "بيت الألعاب الشعبيّة". جُلُّ دوره الحفاظُ على الألعاب التراثيّة والأهازيج القديمة، وذلك بالدورات التي ينظّمها البيت لفتيانٍ وفتياتٍ تتراوح أعمارهم بين (١٢- ١٨) سنة، حيث يتدرّبون على أداءِ رقصة "اليولة" والألعاب الشعبيّة الأخرى، فضلاً عن تعليمهم صناعة أدوات الألعاب الشعبيّة، ونشر هذه الألعاب والمفردات والخامات اللغويّة النابعة من صميم ذلك المجتمع في المهرجانات الخاصّة والعامّة، كما يقدم مؤلفات تحفظ التراث من خطر الاندثار، منها كتاب "الألعاب والأهازيج الشعبيّة في دولة الإمارات"، وكتاب "الأمثال والألغاز الشعبيّة في دولة الإمارات"، وغيرها، كل هذا اهتماماً بالتراث.

في بُلدانٍ أخرى، قد ترى ألعاباً بسيطة مثل لعبة "الكَولف" أو "البيس بول" وغيرها، كلها ألعابٌ نشأتْ من واقع مناطقيٍّ، وأخرى من واقع قرويٍّ بسيط لأغراض التسلّية فحسب، وصارت الآن مَعلَماً من معالم بعض البلدان، وترى إقامة المباريات الدوريّة لها، حتى أخذ بعضُها طابعاً اقتصادياً وحتى سياسيّاً، فها نحن نرى اليوم دوريّات كرة القدم، المصارعة، السِّباحة، الكرة الطائرة، التنس، وغيرها، كيف تعجُّ ملاعبها بآلاف الناس، فمثلاً لعبة الكَولف أو الصولجان، نشأت في عهد الرومان، سنة ٤٠٠ م، وكانوا يستعملون فيها قضيباً مثنياً مع كرةٍ مصنوعةٍ من الجلد ومحشوّةٍ بالريش. أمّا الآن، فتُعَدُّ لعبةً عريقةً حيث أنّ أول نادٍ لها تأسس في مدينة أدنبره في اسكتلندا سنة ١٧٤٤ م، حيث وضع النادي لأوّل مرّة القواعد الخاصّة باللّعبة، ومن ثَمّ انتقلت اللّعبة إلى إنجلترا، وانتقلت إلى أميركا وكندا مع «كولومبوس»، وصارت لها قوانينها الخاصّة، بعد أن طُوِّرَتْ – طبعاً – وهُيِّئَتْ لها المساحات المناسبة، وحتى لعبة «البيس بول»، نشأتْ بسيطةً في بلاد الغرب، لكننا اليوم نرى بلدانا، غير الأوربية، تبني لها الملاعب الخاصّة وتهيِّئ المُدرَّجات للمتفرّجين، وتصرف النفقات على تجهيزاتها والمنظمات التي تنظم بطولاتها.

إنَّ من ألعابنا الشعبيّة ألعاباً تمتلك مقومات تجعلها عالميّة، شريطة أنْ تلاقي الدَّعم الماديَّ والمعنويَّ، كما حصل للألعاب التي ذكرنا، فيتمّ تطويرها ووضع قوانين ثابتة لها، فبعض هذه الألعاب لها قوانين وطريقة لَعب مثيرة جداً لا فقط للاعبيها، بل حتى للمتفرّجين، مثل لعبة «الصكَلة ولاك»، أو «الجعاب» أو «سبع خزيفات» أو «الدوامات» إذا ما قورنَتْ بألعاب «الكَولف» و «بيس بول» و «البلياردو» وغيرها.



فإذا ما تأسس (بيتٌ) خاصٌّ يعنى بهذا الموروث البريء العذب، لتثبيت الألعاب الشعبية والحِرَف والأناشيد والأهازيج وتناقلها إلى الأجيال، فستُمسي لقمةً سهلةً بين أضراس السنين. إنَّ في هذه الألعاب أدبيات وقوانين، تُعزِّزُ البعد الأخلاقي وتَرفِد الجانب الفطري لدى أطفالنا. فلِمَ نبخسُها حقها بالإهمال؟!

تخَيَّلْ معي، لو تمَّ إنشاء مساحة خضراء للعبة «صكَلة ولاك»، مقَسَّمَة المناطق حسب قوانين اللعبة، ويكون «الموك» في منطقة مُبَرَّزة، وتمّ تزويد اللاعبين بتجهيزات تُمَيِّز الفريقين عن بعضهما، وخوذة الحماية والقفازات، ويكون الـ «لاك» و«الصكَلة» بمواصفات قياسيّة مُحَدَّدَة من وزنٍ وطولٍ وسمك، وكذلك يتم تهيئة مُدَرَّجاتٍ للمشجعين، هذا على الصعيد المادي، أمَا المعنوي، فلو دعمتها شخصياتٌ بارزةٌ في المجتمع من مثقّفين وأساتذة وفنانين وشعراء وسياسيين ومهتمين وغيرهم، فمؤَكَّدٌ أنه سيكون شيئاً جديداً مميزاً على أرضنا داعماً لإرثنا ومعززاً لثقافتنا.

من تراثِ الطّفولة

• السيّد حسن الخطيب



أعظم ما يشتاق إليه الوافد إلى ديار الوحي وموطن مبعث الصادق الأمين ﷺ البيتُ المعظّم الذي وُضِع ببكّة قبلةً للناس حتى يؤدّي مناسكه التي فرضها الله عليه، متّبعاً فيها إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ليبرأ من الشيطان الرجيم فيرميَه بالحصى، وينحرَ هدياً وأُضحيةً كما فدى ربُّ العباد عبده إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم، يطوف حول البيت تعظيماً، ويسعى بين الصّفا والمروة كهاجر، إذ عطش وليدها إسماعيل عليه السلام، ثمّ يعرّج على طيبة مهاجر رسول الله ﷺ فيزور المسجد النبويَّ الشريف، إذ يرى معالم عاصمة خليفة الله يثرب، ويحسُّ آثار الوحي، متبرّكاً بالرّوضة وضريح حبيب الله، عظيم الخُلُق الرؤوف محمّد ﷺ، ويزور أئمة الهدى وأعلام الورى في البقيع إلى جوار المسجد النبويّ، ليحمل معه رائحة ديار الوحي، فيسعى أهله إلى استقباله كي يشمُّوا نفحةً من رائحة محمد ﷺ، ويهرع إليه الأطفال ليأخذوا

(الصّوغات) ويفرحوا بها فرحاً عظيماً كفرحهم بالعيد الأكبر، الذي يشتاقون إلى قدومه كاشتياق الحجيج إلى البيت المعظّم وكاشتياقهم للعَوْد إلى أهليهم، فتكون أعظم فرحة للطفل بموسم الحجِّ، إذ يكون فيه عيد المسلمين الأكبر الذي له تراثٌ فائق الجمال في بصرتي الحبيبة، في ساحة البصرة القديمة ذات الشناشيل والشُّرَف الخشبيّة التي تستهوي قلوب الصّغار، إذ فيها ما هو محلُّ اشتياقهم ومنتهى آمالهم، فالطفلُ في أيّام العيد يجمع (العيديّة) من جدِّه وأمّه وأبيه وعمّه وخاله...؛ ليأتي إلى هذا المحلّ الذي يجتمع فيه الناس لينصبوا الدواليب الخشبيّة متعدِّدة الألوان والأحجام، ذات المقاعد المغلّفة بالإسفنج، المكسوّة بقماشٍ ملوّنٍ بألوان زاهية ثبّتت بدبابيس ذهبيّة، والمراجيح ذات الحِبال والمقاعد الخشبيّة التي رُبطت على جذوع النخل، وزيّنت (بالكراكش) ذات الخيوط الذهبيّة والفضيّة، وما أجمل الخيول التي نُصبت عليها السُّروج الرائعة وغطّيت عيونها بغطاءٍ من الجلد خِيطَ مع اللجام، ليزدادَ الطفلُ أماناً عند ركوبه، ولكي لا يرى الحصان ما يهيِّجه في الجولة التي تأخذ بمجامع قلوب الأطفال، وما أروع منظر الجمال ذات المحامل الملوّنة بألوان البُسُط العربيّة المفروشة فوق المحامل، وقد توزّعت هذه الجِمال لتُؤخذ للأطفال الصّور



الشمسيّة على ظهورها.

وما أبسط أماني أطفال ساحة البصرة القديمة، إذ أروع صورةٍ فيها سباقهم على الدواب وتدافعهم للركوب عليها في قبال ما يدفعونه من الثمن الزهيد ممّا جمعوه من (عيديّاتهم)، وللبنات جانبٌ جميلٌ في هذه الساحة، إذ يباع فيها شعر البنات الورديِّ اللون، وإلى جنبه (الشاميّة) ناصعة البياض وطرابيش حبّ الشمسيّ الأسود والأبيض بقرب الفرّارات الدائريّة الشكل الصغيرة والكبيرة، إذ ترى الفتيات الصّغار بملابسهنّ ذات الألوان الزاهية وهُنّ يركبنَ الألعاب (المأمونة) التي لا ترتفع كثيراً عن الارض، وفي الساحة ما يبهر عيون الأطفال ويشدُّ قلوبهم، تلك هي الصناديق التي لها قِباب كهيأة منارات ثلاث وفيها مواضع للنظر، يرى فيها الأطفال صوراً تتحرّك، من مثل صورة الكعبة المكرّمة وحولها الحُجّاج، ومقام إبراهيمعليه السلام والناس من خلفه يصلّون، وحِجر إسماعيل والمصلّين في داخله، وجبل عرفات والحجيج قد لبسوا ملابس الإحرام وو... كلّ هذه الصّور يحرّكها صاحب التلفزيون البدائي، وهو يشبه (الصُّوغات) التي كان يأتي بها الحجيج في تلك العقود، وهي تلفزيون مصغّرٌ له هذه الصّور تتحرّك بفعل اليد، وإنْ انسَ مثل هذه الصّور المبهرة لنا في طفولتنا يوم لم يكن تلفزيون فلا أنسَ تجمّع الأطفال وتدافعهم على الخالة أم والي التي تبيع (الكماتيلَ)، وهي السَّمسميّة ذات المذاق الأصيل المقرمش، تُصنع من السِّمسِم وعسل النخل البصريّ (أبو الدمعة) بيد الخالة أم والي، ذات الطيبة والحنان، التي كانت تسكن في محلّة (المجيبرة)، وهي محلّة تقع مقابل مرآب الجنابيّ في البصرة القديمة.

هذه الصُّور الرائعة من تراث الطفولة البصريّة تجعل المتخيّل لها يتمنّى أن يعود به الزمن فيحضرَ المكان، ويعيشَ واقع هذه الصُّور المبهرة لمن يعاين بساطتها وسحرها الآخذ بمجامعِ القلوب.

البصرةُ

في عيــون رحــالةٍ أوربيين

• هاني نمر عجمي



عند قراءتك تاريخ مدينة البصرة، يشدُّك ما كُتِبَ عنها، وينتابك بعض الفضول المعرفي، إذ تتمنى مشاهدة هذه المدينة بصورةٍ ثلاثيّة الأبعاد – إن صحَّ التعبير – أو على الأقل بطريقة تشعرك وكأنَّك تعيش كلَّ تفاصيل الحياة فيها، وهي تمرُّ بأحد أزمنتها التي انصرمت، فتحاول جاهداً أنْ تجمعَ كلَّ المعلومات المتعلّقة بها، كي تساعدك على تحقيق ما تصبو إليه،



نهر مهيجران

ولأجل المشاهدة التي تحاكي الواقع، لابدَّ من أن ترى المدينة من خلال عيون مَن شاهدها في تلك الأزمنة عن طريق وصفهم إيَّاها، وهنا يأتي الأمر المهم (الواصفون): مَن هم؟ فتارةً يكون الواصفون من سكّان المدينة نفسها من مؤرّخين وأدباء، وتارةً أخرى من مثقّفين، وتجّار، ومؤرّخين مولعين بالسّفر ممَّن زاروا المدينة واستقروا فيها مدَّةً من الزَّمن وهم مَن يُعرفون بالرحّالة، ولكلِّ صنفٍ منهم ميزته الخاصّة، والملفت للنظر هنا أنَّ (الواصف المحلّي) عند وصفه مدينتَهُ لا يوفَّقُ بنقل صورتها الحقيقيّة، لأنَّه نشأ معها، واعتاد أنْ يرى معالمها يومياً، على العكس من (الواصف الأجنبي) – الرّحّالة الأوربيين وغيرهم الذين زاروا البصرة – فقد اكتشفتْ عيونُهم ما لم تره عيون أبناء المدينة المحلّيين من مؤرّخين وشعراء وأدباء، وهذا ما يدفعنا لإثارة بعض التساؤلات التي نحتاج إلى إجاباتٍ عنها وهي:

– ما الذي رآه الرّحّالة الأوربيّون في البصرة؟

– كيف وصفوها؟

– ما هي انطباعاتهم عن المدينة وأهلها؟

ولأجل الإجابة عن هذه التساؤلات لابدَّ من توطئةٍ بسيطةٍ تخصُّ الموضوع، تمهيداً للإجابة، فقد اجتمعت في البصرة عوامل عدَّة أكسبتها شهرةً واسعةً بين دول العالم وعملت على جذبِ عددٍ من الرّحّالة الأوربيّين لزيارتها واكتشاف إرثها الحضاري وتفقّد أحوالها عن كثبٍ، كان مِن أهمّها موقعها الجغرافي ووفرة خيراتها، التي كانت سبباً في لفت أنظار الكثير إليها. ففي نهاية القرن السّادس عشر بدأ توافد عددٍ من الرّحّالة الأوربيين على مدينة البصرة، وكان في طليعتهم الرّحّالة الإيطاليون، ثم الانكليز والبرتغال والفرنسيّون، الذين بدوا مولعين باكتشاف تراثها الغني وحضارتها العريقة، وقد حرص هؤلاء الرّحّالة على دراسة الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة وحتى السياسيّة للمدينة، من خلال تماسّهم المباشر مع المجتمع البصريّ، فتكوّنت لديهم انطباعات خاصّة عنها، بيّنوها في وصفهم إياها وبتدوين مشاهداتهم عن سكّان المدينة وحياتهم وطباعهم.

فقد كانت أوّل أرض وطأتها أقدام الرّحّالة الأوربيّين ووقعت عليها أبصارهم هي القرنة – أحد المدن الواقعة شمال البصرة – إذ كان معظم مَن قَدِمَ البصرةَ من الرّحّالة جاؤوا من بغداد بواسطة القوارب، وقد سحر نواظرهم منظر التقاء نهري دجلة والفرات في تلك المنطقة، فوصفوا البصرة منبهرين بجمال طبيعتها، مبيّنين صفاتها، راسمين ملامحَها، ناعتيها بأجمل الأوصاف، فها هي الرّحّالة والمؤرِّخة والأديبة (مدام ديو لافوا) تُشبِّهها بمدينة البندقيّة (المدينة الإيطالية الشّهيرة) واصفةً سيرها في شطِّ العرب وهي قادمة من المحمرة من خلال قطعة أدبية تُحاكي جمال وروعة ما تشاهده، إذ تقول:(...ننظرُ إلى ضوء القمر الفضِّي بروعةٍ وافتتان كأنَّنا في البندقيّة... ولكن ليست هذه بندقية إيطاليا بل هي بندقية الأقاليم الاستوائية، فالسَّماء صافيةٌ رائعةٌ لا تجد فيها قطعة صغيرة من الغيوم، والبيوت مختفيةٌ تحت ظلال غابات النخيل الكثيفة وأشجار الليمون المثقلة بأثمارها ذات اللون الأحمر الجميل وأشجار الموز بأوراقها العريضة التي تزيد هذا المشهد روعةً وإبداعاً؛ والدور الواقعة على الضِّفاف يُخيَّل للمرء تارةً أنَّها تسبحُ في مياه النهر، وتارةً أخرى كأنَّها مُنتصبة على جانب سدٍّ ضيِّق بإباءٍ وإغراء).

ومثلما كانت المواقع الأثرية في البصرة وثرواتها الطبيعيّة الغنيّة عاملاً رئيساً لاندهاش الرّحّالة الأوربيين بها، فقد عملت، أيضاً، طيبةُ أهالي البصرة ووداعتِهم وحُسن أخلاقهم وطباعهم على إبهار الرّحَّالة العرب والأجانب، وإعجابهم بأهلها وذكرِ صفاتِهم الطيِّبةِ في مدوّناتهم.

فالرّحالة الفرنسيّ (تافرنييه) الذي زار العراق في القرن السّابع عشر، وسجل ملاحظاته عنه، ذكر البصرة في رحلته هذه حين مروره بها، مبدياً انبهاره ودهشته لِما رآه من طيبة أهل البصرة ووداعتهم ومتعجّباً من كرمهم وحسن معاملتهم الضّيوف، إذ يقول في ذلك: فأينما توجّهتَ فيها لقيتَ ترحيبًا، إذ يعمُّ المدينة الطمأنينة والنّظام حتى لتتمكن أنْ تتجوّل في شوارعها طول الليل من دون أنْ يعترضك أحد، أمَّا الرحَّالة البريطاني (تايلر) فقد ذكر ما لاحظه من طيبة أهل البصرة وحُسن أخلاقهم، من خلال اعترافه بمذكراته التي أوضح فيها بأنَّ الأوربيين لقنوا منذ نعومة أظفارهم أنَّ العربَ شعبٌ متأخِّرٌ، لكن ما شاهده في البصرة، من حُسن معاملة أهلها للضيوف وتعاملُهم الإنسانيّ مع الجميع، غيَّر تلك القناعات الخاطئة لدى الأوربيين.

وممَّا لا شكَّ ولا ريب فيه أنَّ ما كتبه الرّحَّالة الأجانب عن طيبة أهلِ البصرة وكرمِهم وحُسن تعاملهم مع الغرباء لم يكن صفةً اتّصف بها فردٌ مُعيَّنٌ التقاه الرّحَّالة أثناء سفره، أو صفة لجماعة من ساكنيها فقط، بل هي صفةٌ عامَّةٌ امتازوا وعُرِفوا بها، كما أنَّ الرحَّالة لم يلتقِ ببعضهم ببعض، ولا بالمجموعة نفسها من الناس، فقد كان بينهم بونٌ شاسعٌ في الزَّمن والتوجُّه والاعتقاد، ولذا فإنَّ ذِكْرَ الرَّحّالة الصِّفات نفسها عن أهالي البصرة دليلُ شيوعِ هذه الصِّفةِ بين أهلها وهذا ما لمسوهُ منهم حقاً.

فهذه هي البصرة، وهذه هي ملامح من وجهها الحقيقيّ، الذي وصفه بها الرَّحَّالة الأوربيّون، مثلما شاهدوها على حقيقتها.

ثورةُ الزِّنج في البصرة بينَ المبالغةِ والإنصاف

• أحمد وادي الموسوي

مرّت البصرة منذ تأسيسها سنة(١٤هـ/ ٦٣٥م) بالكثير من الأحداث السياسيّة في تاريخها الطويل، ومن مجمل هذه الأحداث قيام الثورات والانتفاضات في المدينة، ولأسباب شتّى، بعضها اجتماعية، وأخرى سياسيّة، أو اقتصادية، وما شاكل ذلك من الأسباب.

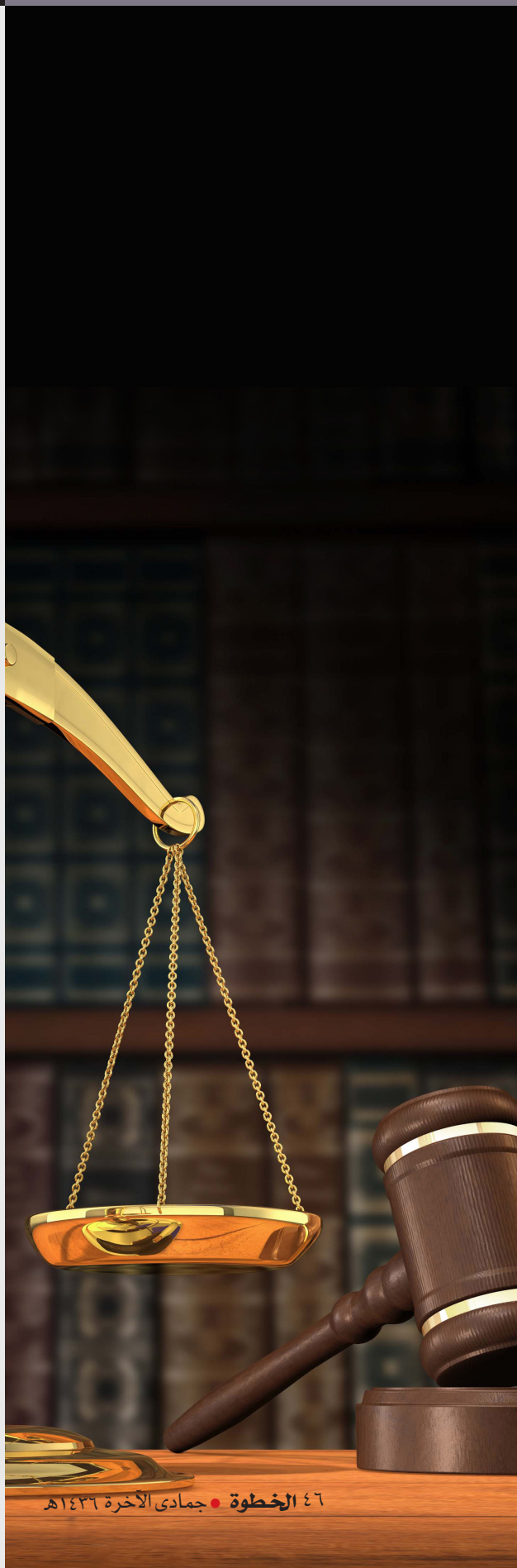


ومن الثورات التي نريد تسليط الضوء عليها بإيجاز الثورة المعروفة بثورة صاحب الزّنج التي دارت أغلب أحداثها في البصرة لمدّة تقارب الخمسة عشر سنة، ما بين سنتي(٢٥٥- ٢٧٠هـ/ ٨٦٨- ٨٨٣م).

وأمّا قائد الثورة فهو عليّ بن محمّد المعروف بصاحب الزّنج؛ ولأنّ المادّة البشريّة الأساسيّة للثورة كانت مؤلّفة من العبيد الزنج الذين كانوا يعيشون في ظروف قاسية ويعملون في استصلاح الأراضي الزراعية، فقد سُمّيت الثورة باسمهم على الرغم من أنّ قيادتها لم تكن من الزنج، كما شارك فيها أفراد وجماعات من القبائل العربيّة.

تجمع المصادر التاريخية على أنّ صاحب الزنج عليّ بن محمّد لم يكن زنجياً، ولكنّهم يختلفون في أصله ونسبه، فمنهم من قال إنّه عربيٌّ من قبيلة عبد القيس، ومنهم من عدّه فارسيّاً نظراً لولادته في قرية(وَرْزَنين) الواقعة في مدينة الري سابقاً قرب مدينة طهران الحديثة، هذا وقد ادّعى عليّ بن محمّد النسب العلويّ ليضفي على حركته الغطاءَ الدينيّ، ويكسب جمهور الناس المتعاطف مع أهل البيت عليهم السلام، ولكنّه جاهر ببعض مبادئ الخوارج، والغرض من رفع شعار النسب العلويّ والمناداة ببعض مبادئ الخوارج هو تمشيةُ أمور الزنج، وأيضاً كان لصاحب الزنج مآرب سياسيّة حاول أن يستغلَّ هذه الشعارات للوصول إلى ما يبتغيه.

إنّ الإطار الزمني لثورة الزَّنج في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وكان طابعها العام للقيام اجتماعيّاً ضدّ ملّاكي الأراضي الزراعية، ثمّ سرعان ما تحوّلت إلى مواجهات مسلّحة مع جيوش العبّاسيين، وهي والحالة هذه وقعت في العصر العبّاسي الثاني، وبنحوٍ أدق في فترة حكم المهتدي والمعتمد العبّاسيّين، وأمّا مكانيّاً فقد جرت معاركها الكَبرى في البصرة، ثمّ توسّعت إلى مناطق أخرى، مثل الأهواز وواسط وغيرها، وكانت القيادة بيد أخو المعتمد ووليّ عهده أبي أحمد الموفَّق، ومن الجانب الآخر علي بن محمّد صاحب الزنج والقادة الذين معه. وفي الإطار السياسي تزامنت ثورة الزنج مع عدّة ثورات قامت ضدّ الدولة العبّاسيّة من أهمّها حركة الصفَّاريين في بلاد فارس بقيادة يعقوب الصفَّار، وانتفاضات العلويين في الكوفة والريّ وغيرهما، وتمرّد مُساور الخارجي في الموصل، وخروج بعض الثوّار الأكراد في فارس والأهواز، وتزامنت أيضاً مع بدايات ثورة القرامطة في سواد الكوفة، علماً أنّ صاحب الزنج لم يُرد غالباً أن يعقد أيَّ تحالفٍ مع تلك الحركات المناوئة للدولة العبّاسيّة، وهو ما يُحسب عليه خطأً استراتيجيّاً لم يحسب أنّه يحتاج إليه



في مثل هكذا حركات.

وقد تناول المؤرّخون والكتّاب المحدّثون ثورة صاحب الزنج بمنظارين مختلفين، الأوّل معارض لقيام هذه الثورة ومندّدٌ بها وبأفعالها التي ارتكبها صاحب الزنج، وعدّوها ثورة معادية خارجة على السلطة الشرعيّة والنظام العام، مارقة من الدين القويم، وسلوكاً تخريبيّاً وإجراميّاً أضرَّ بالدولة وبمصالح الناس.

وأمّا الثاني فقد اعتبر تلك الثورة علامة من العلامات المضيئة في تاريخ الشعوب الإسلاميّة، وثورة اجتماعية تمتلك مسوّغاتها المشروعة.

ومن جانب آخر فإنّ رواية الطبري في تاريخه هي الرواية الوافية عن ثورة الزَّنج، وبقيّة الروايات عالةٌ عليها، وهي بطبيعة الحال معادية للزِّنج، وتعبّر إلى حدٍّ بعيد عن موقف السلطات الرسميّة من تلك الثورة.

وبمناسبة الحديث عن ثورة الزِّنج بودّنا أن نشير إلى تنبّؤ الإمام عليّ عليه السلام بوقوع ثورة الزنج مخاطباً الأحنف بن قيس: يا أحنف، كأنّي به، وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لَجب، ولا قعقعةَ لُجم، ولا حَمحمة خيل، يُثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدامُ النّعام، ثمّ قال عليه السلام: ويلٌ لسككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يُندَب قتيلُهم، ولا يُفتَقد غائبهم.

إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام يوضّح الحالة الاجتماعيّة والمعيشيّة في البصرة في تلك الفترة التي كانت متفاوتة، وتتميّز بظهور فئة ملّاكي الأراضي الزراعيّة، الذين كان يعمل لديهم أكثر الزنج في ظروفٍ صعبةٍ جدّاً، ويبيّن لنا أيضاً الحالة الطبقيّة السائدة في المجتمع، والتي ثار الزّنج ضدّها، وكذلك يوضّح كلام الإمام عليه السلام الآثار السلبيّة التي ستلحق بالبصرة من جراء قيام ثورة الزّنج.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي كان معاصراً لثورة صاحب الزنج سأله عنه فأجابه: إنّ صاحب الزنج ليس منّا أهل البيت، ومن الأمور الأُخَر التي حاول عليّ بن محمّد استغلال مشاعر الناس وكسب تأييدهم لثورته، ادّعاؤه المهدويّة، ونسبة الأمور الخارقة لنفسه، من قبيل نصرة الملائكة له، وقراءته آياتٍ من القرآن لم يكن يحفظها، وغيرها، ولكنّ هذا القائد أخذ بعد قيامه بالثورة وبنائه مدينته(المختارة) ينال من الإمام علي عليه السلام في خُطبه وكلامه، وقتَل عليّ بن زيد العلويّ صاحب الكوفة سنة(٢٦٠هـ)، وقبل ببيع النساء من ولد الحسن والحسين عليهما السلام جواري للزّنج.

قام عليّ بن محمّد بجمع أتباعه الزنج في البصرة سنة(٢٥٥هـ)، وأخذ يخطب بهم ووعدهم ومنّاهم بالخَلاص والتحرّر من تبعيّة أسيادهم ملّاكي الأراضي، وقد حلفَ لهم بالأيمان المغلّظة أنّه سيكون معهم ولن يخذلهم، ثمّ استحلّ البصرة سنة(٢٥٧هـ)، وأخذ هو وجيشه يحرقون وينهبون ويقتلون الناس طمعاً بالأموال، وفي أحدى المرّات قاموا بإحراق جامع البصرة وقتلوا مَن فيه، ولكنّ المصادر التي تناولت هذه الثورة تبالغ في وصف أعداد الناس المقتولين في البصرة وحدَها فضلاً عن المناطق الأُخَر، وعن كيفيّة قتلهم، من خلال وصف جريان الدماء في سكك البصرة وأروقتها من كثرتها.

وفي الختام يمكننا القول إنّ ثورة الزّنج مرّت بمرحلتين في سيرها، المرحلة الأولى هي مرحلة الصعود والصمود، والثانية مرحلة الانحدار والتراجع، فهي أشبه بحالة المدّ والجزر(إذا صحّ التعبير) وقد زرعت الهلع والخوف في نفوس اهالي البصرة وكذلك في القرى والمناطق القريبة منها، وجاء هذا إثر التهويل والتخويف الإعلامي الذي مارسه صاحب الزنج وقادته؛ لغرض التوسّع والسيطرة على أكثرِ المُدن والمناطق الممتدة بين البصرة وبغداد، وقد تمكّن الموفّق من قتل صاحب الزِّنج والقضاء على ثورته في سنة(٢٧٧هـ).



النخيلُ في البصرة

(١٩٥٢-٢٠١٢) الحلقةُ الأولى



• د. عبد الجبار عبود الحلفي

كانت البصرةُ مدينةَ النخيل، كما هي مدينةُ النفط في العراق اليوم، فضلاً عن أنّها المصدر الأوّل الرئيس في العالم في صادرات التمور بأنواعها في الخمسينيّات والستينيّات من القرن الماضي .

وسنتناول في هذه الحلقة الحديثَ عن أعداد النخيل فيها، والتناقص الذي عرض عليه ومجمل أسبابه، وكذا سنتحدّث عن مساحات الأراضي التي يشغلها النخيل من أرض البصرة، وسيكون حديثنا في الحلقة الثانية عن تصدير التمور وطرائقه، وأهم مراكزه في المدينة.

أمّا أعدادُ النخيل، فمِنَ المؤسِف أنّها تناقصت بشكلٍ ملحوظٍ منذ العام ١٩٥٢م إلى العام ٢٠١٢م بشكلٍ غيرِ مسبوقٍ؛ نتيجةً لإهمال الحكومات المتعاقبة لهذه الثروة الطبيعية الكريمة التي وهبها الله للعراقيين، والتي شكّلت عوائدها من النقد الأجنبي والمحلّي أكثر من ٥٠٪ في إيرادات الموازنة العامّة للدولة في الخمسينيّات والستينيّات. ففي العام ١٩٥٢ م كانت أعداد النخيل ٣٦٠.٠٠٠. ١٣ نخلة، منها ١١ مليون على ضفّتي شطِّ العرب من القرنة حتّى الفاو . وفي الستينيّات من القرن



الماضي تناقصت إلى ٤٠٠. ٧ مليون نخلةً . وفي السنوات ١٩٨٩ – ١٩٩٠م وصلت أعدادُها إلى ٧. ٢ مليون نخلة. أمّا في العام ٢٠١٢م فقد تراجعت إلى نحو ٢. ٢ مليون نخلة.

و بالنسبةِ للبساتين فهي كحالِ النَّخيل قد تقلَّصت مساحاتها سنةً بعد أخرى؛ لأسبابٍ كثيرة على رأسها إهمال الحكومات القطّاعِ الزراعي، وهيمنةً قطّاع النفط على بقيّة القطّاعات، حتى أصيب العراق بما يسمّى بـ(المرض الهولنديّ)، إذْ تراجع اهتمام الحكومة الهولنديّة بالقطّاع الزراعي عندما اكتُشِف النّفط في أراضيها، لكنَّها عادت مرّةً أخرى بعد سنواتٍ عديدةٍ لتوازن بين الزراعة والنّفط، فضلاً عن ذلك كان الزحف السكّاني، وزيادة أعداد السكان، وبدايات التصحُّر سبباً في انكماش مساحات البساتين في البصرة، فقد كانت مساحتها في الخمسينيّات من القرن الماضي ٢٢٢٧٩٩ دونم، وفي الستينيّات تراجعت مساحتها إلى ١٨٥٠٠٠ دونم. وفي العام ٢٠٠٢م تراجعت إلى ٨٠٠٠٠ دونم .

وبسبب الزحف السكّاني، والبيع العشوائي، وهجرة الفلاحين إلى المدن والتصحُّر، وإهمال الحكومات المتعاقبة

للقطّاع الزراعي، انكمشت مساحتها إلى ٥٣٦٠٠ دونم فقط .

إنَّ وجودَ النخيل في كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي منطقة البنجاب في الهند كان بسبب نقل الفسائل إلى تلك المدينتين في البصرة حيث ما زالتا تشهدان إنتاج التمور الحلاوي في كاليفورنيا والزهدي في الهند وتوسَّع المُزارعون في زراعة الفسائل في البساتين خاصَّة في القرنة وأبي الخصيب وشطِّ العرب والفاو في الأربعينيّات من القرن العشرين، وارتفعت أعدادُ النخيل في البصرة لتصل إلى نحو ١٣ مليون نخلة في خمسينيّات القرن الماضي.. منها ١١ مليون نخلة على ضفَّتي شطّ العرب ذلك النهر الخالد الذي كان يتميّز بمياهٍ عذبةٍ صالحة للزراعة، وللاستهلاك البشري، إذ إنَّ النخلة لا تنمو إلا في وسط مائيٍّ عذب، أما الملوحة فتقتلها .

لقد احتلّت البصرة المرتبة الأولى في أعداد النخيل في الخمسينيّات من القرن العشرين، وفي صادرات التمور كذلك، ومساحة البساتين المزروعة بالنخيل والأعشاب، حيث بلغت مساحة البساتين الخضراء نحو ٧. ٢٢٢ ألف دونم، وبلغت الصادرات من التمور في أواخر الخمسينيّات نحو ٨٠ ألف طن، ارتفعت إلى (٩٠،٠٠٠) ألف طن في الستينيّات بالرغم من تناقص أعداد النخيل بسبب الزيادة في إنتاجية النخلة، وارتفاع أسعار التمور المصدرة ، كما سنذكر بعض أنواعِها، لكنّ الكارثة التي حلّت بالنخلة، عندما نشبت الحرب العراقية – الإيرانية في العام ١٩٨٠م، حيث قام النظام البائد بقطع النخيل بشكلٍ تعسُّفِيٍّ خاصَّة على الضِّفَّة الشَّرقيّة منَ شطِّ العرب، إذ جرى قطع نحو(٤) ملايين نخلة لتأمين العمليّات الحربيّة دون رحمة، كما جرى تجفيف الأهوار، ما أدَّى إلى تناقص أعداد النخيل إلى نحو ٧. ٢ مليون نخلة في العام ١٩٩٠م، وتناقُص مساحات البساتين





من ٧. ٢٢٢ ألف دونم في الخمسينيّات إلى نحو ٧. ٧٤ ألف دونم في العام ١٩٩٠م. ونتيجة لذلك ألغيت الشّركة العامّة لتصدير التمور في البصرة، ثُمَّ جرى زحف اللسان المِلحي على مياه شطِّ العرب من الخليج العربي متزامناً مع تجفيف الأهوار، ما أدّى إلى زيادة الملوحة في هذا النهر الذي كان الرافد الأساس لسقي النخيل وبقية المزروعات في البساتين، ومن ثمَّ موت مليون نخلة ليصبح عددها نحو ٢. ٢ مليون نخلة فقط سنة ٢٠١٢م، في البصرة وذات إنتاجيّة منخفضة بسبب هجرة الفلاحين وبيع المساحات المزروعة لأغراض السكن، وكذلك إهمال الحكومة لهذه الثَّروة الزِّراعية الاستراتيجيّة واليوم أصبحت مياهُ شطّ العرب ملوّثة بأنواع الملوّثات، فضلاً عن العكورة والملوحة المرتفعة جداً، التي قضت على ما تبقى من نخيل البصرة.

أنواع التمُور المشهورة في البصرة: الحلّاوي، السّاير، الزّهدي، البرحي، الشَّكرة، الكنطار، الفرسي، الأشقر، الدِّيري،الليلوي،الخضراوي،والخِصاب.



مِيمِيَّةُ الفرزدقِ
"قراءةٌ في الظاهرِ والمُضمرِ"

• د. عامر عبد محسن السعد

أجملُ ما قيلَ في اللُّغةِ إنَّها (منزلُ الوجودِ)، وأيُّ منزلٍ أوفرُ جمالاً، وأشدُّ اتِّساعاً منها؟ فما أكثرَ أبوابَها في النحوِ والصَّرفِ والبلاغةِ والدَّلالةِ! وما أعظمَ سخاءها! إذ لا تتمنَّعُ على مُستعملِها إذا ما نوى الاتِّساعَ.

وما أحلى أنْ يكونَ في اللُّغةِ بابٌ يهبُنا فسحةً في أنْ ننتقلَ بالكلمةِ ممَّا وُضِعَتْ لهُ من دلالةٍ إلى غيرِ ما وُضِعَتْ له، وهذا الذي نريدُ التوقُّفَ عندَهُ لكي يكونَ القارئ على بيِّنةٍ بالمسوِّغاتِ التي دعتنا إلى اختيارِ عنوانِ (مواقفُ بصريَّةٌ).

إنَّ (الموقفَ) في اللغةِ هو موضعُ الوقوفِ حيثُ كانَ، وهو اسم مكانٍ، ومن الواضحِ أنَّ دلالتَهُ ماديَّةٌ، لكنَّ ما أردنا به هنا: المواضعَ التي سجَّلَ فيها البصريُّون مآثرَ ظلَّتْ الأجيالُ تتناقلُها بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ، لكونها مواقفَ مشرِّفةً تصبُّ في نصرةِ الحقِّ وإعادتِهِ إلى نصابِهِ، ومواجهةِ الباطلِ وإزاحتِهِ عن مقامِهِ، يجدُ الضالُّ فيها ملاذاً، والظمآن مورداً، والمظلومِ ناصراً، وستكون قراءتنا حواراً يستنطقُ النصَّ، ويستكشفُ ما تُخبِّئُهُ

اللُّغةُ فيه من المعاني والأنساق التي ستشكِّلُ حتماً عِبَرَاً وفناراتٍ يهتدي بها السائرونَ في بحارِ المجد، وبرِّ الثقافة.

إنَّ تاريخَ البصرةِ حافلٌ بمواقفَ ذاتِ أهميَّةٍ تاريخيَّةٍ لا يمكنُ طيُّ صفحاتها، أو التغافلُ عنها، بل تلزمُ دراستُها وتحليلُها لكونها تراثاً خالداً يقتضي الحفظَ والإحياءَ، واستخلاصَ ما فيه من الدروسِ ذاتِ الجدوى والمنفعة.

انطلاقاً من هذا، وقعَ الاختيارُ على موقفٍ ما زالَ راسخاً في ضميرنا الثقافي، وهو موضعُ احترامِ التاريخِ والأجيال، لأنَّهُ قد سجَّلَ انتصاراً للكلمةِ على القوَّة، أو (لحكومةِ الشِّعرِ) على (حكومةِ السُّلطة)، وعلى ما يبدو أنَّ طرفي المعادلةِ غيرُ متكافئَين، لأنَّ أحدَهُما يمتلكُ وسائلَ البطشِ والترهيبِ والتنكيل، في حين أنَّ الآخرَ لا يملكُ سوى الكلماتِ، لكنّ ما حصلَ أنَّ المعادلةَ قد انعكستْ، فتغلَّبَ القولُ على البطشِ والظلم.

هكذا قد يفعلُ النصُّ ما لا يفعلُهُ السَّيفُ، ولذا وَرَدَ: (أفضلُ الجهادِ عندَ اللهِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائر) هذه المعادلةُ الرائعةُ والخالدةُ تسجِّلُ انتصاراً حتميّاً للكلمةِ بتوافرِ أمرَين:

الأوَّلُ: يحدّدُ هويَّتَها.

الثاني: يحدّدُ مكانَها.

فالكلمةُ لكي تنتصرَ يجبُ أنْ تكونَ (كلمةَ حقٍّ)، ولكي تكونَ جهاداً يجبُ أنْ تكون في المكانِ الذي فيه (سلطةٌ جائرةٌ) خارجةٌ على الأعرافِ والمبادئِ والقيم.

هذه الحقيقةُ لها شواهدُها في تاريخنا، وأعظمُ تلكَ الشواهدِ كلمةُ الإمامِ الحُسين عليه السلام لطاغيةِ عصرِهِ يزيدَ بنِ معاويةَ (مثلي لا يبايعُ مثلَهُ)، وبعدَ مقتلِ الإمام عليه السلام حيثُ انتصرَ الدَّمُ على السَّيفِ سجَّلتْ الحوراءُ زينبُ عليها السلام انتصاراً عظيماً للكلمةِ عندما وقفتْ في مجلسِ الملكِ الظالمِ ومَن معَهُ من المنافقينَ وقالتْ خطبتَها التي كانتْ كلماتُها صواعقَ على رؤوسِ المُفسدينَ.

نعم إنَّ الكلمةَ عندما تكونُ على طريقِ الحقِّ فهي أمضى من كلِّ سيفٍ، وأقوى من كلِّ سلطة.

نعودُ إلى النصِّ الذي اخترَ ليكونَ موضعَ الدراسةِ في إطارِ (مواقفَ بصريَّة).

هذا النصُّ هو قصيدةُ الشَّاعرِ البصريِّ هَمَّام بنِ غالبِ بنِ صعصعةَ المُلقَّبِ بالفرزدق، وقد قالَها في الإمامِ زينِ العابدينَ عليِّ بنِ الحُسين عليهما السلام جواباً عن سؤالٍ استنكاريٍّ لسلطانٍ جائرٍ هو (هشامُ بنُ عبدِ الملك) الذي كانَ يحجُّ في أيَّامِ حكمِ أبيه، وحينَ طافَ بالبيتِ، لم يتمكَّنْ من الوصولِ إلى الحجرِ الأسودِ واستلامِهِ من كثرةِ الزِّحام، فجلسَ على جانب، ومعه جماعةٌ من أعيانِ الشَّامِ لينظرَ إلى النَّاسِ من على كرسيِّه، وبينما هو كذلكَ انفرجَ الحجيجُ لرجلٍ بدأ يطوفُ بالبيتِ ثم استلمَ الحجرَ، فقالَ رجلٌ من أهلِ الشَّام: مَن هذا الذي هابَهُ الناسُ؟ فقالَ هشامٌ: لا أعرفُهُ، مَن هذا؟ فلم يجرؤ أحدٌ على إجابتِهِ سوى الفرزدقِ الذي صاحَ: أنا أعرفُهُ، ثم اندفعَ مُنشداً ميميَّتَهُ التي ضمَّتْ أكثرَ من (٢٥) بيتاً والتي مطلعُها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ
والبيتُ يعرفُهُ والحلُّ والحرمُ

هذه القصيدةُ كانت ثورةً حملتْ في مدلولاتها مسوِّغاتُ انطلاقتِها، وهي مسوغاتٌ لا تقفُ عند حدودِ التعريفِ بشخصِ الإمامِ عليه السلام، وإلَّا اكتفى الشاعرُ بقولِه:

هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ
بجدِّهِ أنبياءُ اللهِ قــد خُتِمُوا

لكنَّ الفرزدقَ ضمَّنَها معانيَ أحدثتْ تغييراً في مسارِ الثقافةِ السَّائدةِ التي رسَّختْ قيمَها نصوصٌ غيرُ مسؤولةٍ أوجدتْ تصوُّراً خاطئاً لدى (الحاكمِ والمحكوم)، فالحاكمُ ينظرُ إلى نفسِهِ على غيرِ حقيقتِها، على أنَّهُ صاحبُ قيمِ وجُودٍ وشهامةٍ ومجدٍ وشجاعةٍ منقطعةِ النظيرِ- وفاءً لما صوَّرتْهُ القصيدةُ-والأدهى من ذلكَ إنَّ ثقافةَ الوعي لدى المحكومِ قد أُرغِمَتْ على التغنِّي بحاكمِها على الرَّغمِ من علمِها أنَّ الشِّعرَ هو الذي لمَّعَ صورةَ الظالمِ وعملَ على تصنيمِهِ فأعطاهُ طولاً يفوقُ طولَهُ الحقيقيَّ.

لقد نتجَ عن ذلكَ أنْ سادتْ ثقافتان



رسَّختا في ثقافتنا أنساقاً أدَّت إلى أنْ ينحرفَ السلوكُ عن جادَّةِ الصَّوابِ وهاتان الثقافتان:

- ثقافةُ التَّصوُّرِ لدى الحاكمِ بأنَّهُ شخصٌ فوقَ الجميع.

- ثقافةُ التلقِّي السَّلبيِّ المبنيَّةِ على الغشِّ والخداعِ قادتْ المحكومينَ إلى تجميلِ الحاكمِ الظالمِ وتعظيمِه.

هنا تأتي القصيدةُ لمواجهةِ ذلكَ التردِّي الثقافيِّ والعملِ على هدمِه، ومناصرةِ الحقِّ، وكَشْفِ الحقيقةِ، وإعطاءِ الناسِ جرعةً من الجرأةِ على الاعترافِ بأهلِ الفضلِ الذينَ اغتُصِبَ حقُّهُم، وهم أصحابُ الحقِّ بالسُّلطةِ والحُكم، الذينَ إذا حكمُوا فسيكونُ حكمُهم العدلَ والإنصافَ، لأنَّ همَّهم استقامةُ الدِّينِّ، وتطبيقُ ما جاءَ في كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نبيِّه.

القصيدةُ إذنْ رسالةٌ فاضحةٌ لكلِّ الأقنعةِ الساترةِ للقبحِ، ولكلِّ الأنساقِ الثقافيَّةِ الخاطئةِ التي صنعَها الشُّعراءُ المدَّاحونَ الذينَ كانوا يُقايضونَ الشعرَ بالمالِ لتسويقِ الكذبِ، وتحويلِ جماليَّاتِ البلاغةِ والقيمِ الشعريَّةِ إلى بضاعةٍ رابحةٍ في أسواقِ (أو قصورِ) الطغاةِ والظالمينَ.

إنَّ المعانيَ الكبيرةَ التي تبثُّها القصيدةُ توحي أنَّ دلالتَها جاءتْ بعدَ مراحلَ شعوريَّةٍ وفكريَّةٍ متراكمةٍ، حتى إذا جاءَ سؤالُ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ (مَن هذا؟)، فكانَ الزِّندُ الذي قُدِحتْ بهِ النارُ.

هذا وإنَّ الفرزدقَ المعروفَ بحبِّهِ الشَّديدِ لآلِ البيتِ عليهم السلام لم ينسَ أنَّ آباءَ هشامٍ (السَّائلِ) هُم الذينَ قتلوا الحُسينَ عليه السلام ومارَسُوا أبشعَ صورِ الظُّلمِ والقسوةِ، ولم يمضِ على ذلكَ وقتٌ طويلٌ، كما إنَّ الأمَّةَ تعرفُ تماماً منزلةَ الحُسينِ عندَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وكذلكَ ما أوصى بهِ الرَّسولُ لتولي أمورِ المُسلمينَ.

كلُّ هذا يحتِّمُ علينا قراءةَ هذا النصِّ قراءتَين:

الأولى: قراءةٌ نصِّيَّةٌ للجملِ النحويَّةِ والبلاغيَّةِ.

الثانية: قراءةٌ ما وراءَ النصِّ لنجلو ما يختبئُ وراءَ الجملِ وتتجلى في القراءةِ الأولى جملةٌ من المعاني سنشيرُ إليها، وفي الوقتِ نفسِه سنشيرُ إلى ما يرشحُ من المعاني من جراءِ قراءةِ ما وراءَ النصِّ لأنَّ القراءتين ستترافقان معاً، وعلى النحوِ الآتي:

* الإشارةُ إلى أنَّ الإمامَ معروفٌ من ناحيتَي (المكانِ والإنسان) فمن حيث (المكان) بيَّنَ أنَّ أشرفَ الأمكنةِ وأقدسَها على وجهِ الأرضِ تعرفُ شخصَ الإمامِ عليه السلام (فالبطحاءُ تعرفُهُ... والبيتُ يعرفُهُ، والحلُّ والحَرَمُ) أيَّ أنَّ الكعبةَ وأرضَ مكةَ وما حاطَ بها وما جاوزَها تعرفه، والأشدُّ من هذا أنَّ ركنَ الحطيمِ أو الحجرِ من فرطِ معرفتِهِ يكادُ يمسكُهُ، وهذا قمَّةُ المجدِ والشرفِ:

يكادُ يمسكُهُ عرفانَ راحتِهِ ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ

ولا يقفُ أمرُ (المعرفة) عند الحدودِ المكانيةِ، بل هو معروفٌ عند الناسِ جميعاً:

(العُربُ تعرفُ من أنكرتَ والعجمُ)

هذه الإشاراتُ - على ما يبدو - واضحةُ الدلالاتِ، إلا أنَّها تحملُ رسالةً مضمرةً يمكنُ قراءتها فيما وراءَ السطورِ، وهي متجهةٌ إلى (هشامٍ) بالقولِ:

إنَّ رجلاً بهذهِ العظمةِ، وبهذهِ المكانةِ، وبهذهِ المعرفةِ الكونيةِ لا يدعُ مجالاً للشكِّ في التعرُّفِ إليه، فما الذي دعاكَ إلى أنْ تسألَ مُنكراً بما لا يضرُّهُ أبداً!؟

والجوابُ عن ذلكَ لا يخلو من أمرين: فأمَّا أنْ تكونَ أحمق، وأمَّا أنْ تكونَ حاقداً وكلاهما يضعانِ غشاوةً على العيونِ فلا ترى الحقيقة.

الإشارةُ إلى النسبِ:

يستغربُ الشاعرُ من سؤالِ (هشامٍ) وإنكارِه شخصَ الإمامِ عليه السلام، لأنَّ مَن أنكرَهُ في قمَّةِ المجدِ والسؤدد، فأبوهُ الحسينُ بنُ عليٍّ عليه السلام وجدُّهُ سيِّدُ الكائنات، وهو بهذا النسبِ سيدُ هذه الأمةِ وعلمها، وهو التقوى والطهر والنقاء:

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهمُ
هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كنتَ جاهلَهُ



بجدِّه أنبياءُ الله قد خُتموا
إنَّ هذا السموَّ النسبيَّ يشكلُ نسقاً مع ضدِّه المضمر، فاللغة في وجهها الخفيِّ تتجهُ إلى السائل (المُنكر) لتقول له: إنكَ (نكرةٌ) لا يداني نسبُكَ نسبَ من أنكرتَهُ، فأنتَ يا هشام تنتسبُ إلى قتلة مجرمينَ، الرذيلةُ سجيَّتُهم، والظلمُ ديدنُهم.

ثمّ إنَّكَ تعرفُ أنَّ هذا المكانَ الشَّريفَ ينتسبُ إلى الله تعالى، وأنَّ الحجيجَ الموجودين هنا هم الآن خارجَ حكومتكم تماماً، لأنَّهم يخضعونَ وهم يؤدونَ مناسكَهم لسلطة الله ولحكومته الغالبة، لذا لم ينفرجوا، ولن يولُوا اعتباراً لكم، لأنَّكم لا تنتسبونَ إلى الله بأيِّ شكلٍ من الأشكال، أما إذا انفرجَ الحجيجُ لعليِّ بنِ الحُسين عليه السلام فذلك أمرٌ ليسَ بالغريبِ ففي بيتِ هذا نزلَ الكتابُ

(والدِّينُ من بيتِ هذا نالهُ الأممُ)

والأمرُ واضحٌ لك ولكلِّ الدُّنيا؛ لأنَّ من أنكرتَهُ:

مُشتقَّةٌ من رسولِ الله نبعتُهُ
طابتْ مغارسُهُ والخيمُ والشِّيمُ
ينشقُّ ثوبُ الدُّجى من نورِ غرَّتِه
كالشمسِ تنجابُ عن إشراقِها الظُلَمُ
من معشرٍ حبُّهم دينٌ، وبغضُهُمُ
كُفرٌ، وقربُهُمُ منجىً ومعتصمُ

الإشارةُ إلى المناقبِ والمآثر:

يبدو أنَّ الموقفَ الذي قيلتْ فيه القصيدةُ قد جعلَ دلالتَها تسيرُ في ثلاثةِ اتجاهاتٍ هي:

- إشارةٌ معرفيَّةٌ تضمَّنتْ ما هو معروفٌ فيه عليه السلام من مكانٍ وإنسان.
- إشارةٌ نسبيَّةٌ تضمَّنتْ نسبَهُ الشريفَ.
- إشارةٌ حسبيَّةٌ تضمَّنتْ مناقبَهُ ومآثرهُ

وهو ما سنبيِّنُهُ في هذه النقطة، إذ بيَّنتْ القصيدة أنَّهُ عليه السلام منبعُ خيرٍ عميم لا ينفذُ، ومن علوِّ خلقه وحلو شمائله أنَّ مَن يراهُ يشعرُ بالأمان والطمأنينة، وليسَ في قاموسهِ (لا) لمَن يطلبُ منهُ حاجةً.

و(لولا التشهُّد كانتْ لاءَهُ نعمُ)

وإذا ما أصابتْ القومَ مصيبةٌ فهو حمَّالُ أثقالهم، ولعلَّ في البيتين الآتيين إشارةً وافيةً إلى حسبهِ ومحامده:

عمَّ البريَّةَ بالإحسانِ فانقشعتْ
عنها الغياهبُ والإملاقُ والعدمُ
إذا رأتْهُ قريشٌ قالَ قائلُها
إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ

ومهما قالَ الشاعرُ فذلك دونَ الحقيقة لأنَّ لآلِ البيتِ عليهم السلام فضلاً على الدنيا لا أحد يستطيع إنكاره:

مَن جدُّهُ دانَ فضلُ الأنبياءِ له
وفضلُ أمّته دانتْ له الأممُ

ولعلَّ الشاعرَ أرادَ بذكرِ تلك المناقب أنْ يوجدَ خطاباً من وراءِ اللُّغة إلى هشام ليقول له:

ماذا لك من كلِّ هذا؟

هؤلاء الظلمةُ لا يفعلونَ الخيرَ إلَّا بقدرِ ما يخدمُ كراسيهم ووجودَهم السُّلطوي، لأنَّ القيمَ التي يتظاهرونَ بها، لم تكن متأصِّلةً فيهم، وإنَّما هي طلاءٌ لإخفاءِ قبحِ وجوههم.

بعد هذا يمكنُ التمعُّنُ في تجلياتِ الموقفِ الذي سجَّلَهُ الفرزدقُ للإفادةِ ممَّا فيهِ من قيمةٍ عظيمة، فهو من المواقفِ البصريَّةِ المشرقةِ التي أسَّستْ في ضميرِ الأمَّةِ الثقافيِّ نسقاً هي أحوجُ ما تكونُ إليه، وهو بحقٍ مؤشرٌ إلى أهميَّةِ الثقافةِ وفاعليتها إذا ما أحسنَ استعمالها بعيداً عن الترفِ والتسليع، لكي تصبحَ المُمارسةُ الثقافيَّةُ وسيلةً للإصلاحِ وللنهوضِ بالوعيِ وتطويرهِ لخدمةِ الإنسانِ والدِّفاعِ عن حقوقه.

إنَّ ميميَّةَ الفرزدقِ رسالةٌ ثقافيةٌ لا تخصُّ عصراً معيناً، وإنَّما هي عينٌ لكلِّ العصورِ بما تمثلهُ من احتجاجٍ قويٍّ ضد أيِّ لونٍ من ألوانِ الثقافةِ يجعل من ناسجي جمالياتِ البلاغةِ وصانعي فنونِ القولِ أقزاماً أذلاءَ يقفونَ على أبوابِ السَّلاطينِ لتسويقِ بضاعتهم.

في الوقتِ نفسه فإنَّ الفرزدقَ يريدُ أنْ يقولَ لنا: أنْ لا بدَّ للُّغةِ أنْ تقولَ لاءاتها بوجهِ الظالمينَ والمنافقينَ والمُفسدينَ، وإذا كانت اللُّغةُ بهذا المستوى من الشَّجاعة، وإذا كانت الثقافةُ بهذا المستوى من الجرأة، فلن تنجبَ الأمَّةُ يزيداً ثانياً يُعيدُ لنا مرةً أخرى مأساةَ عاشوراء الحسين عليه السلام.

البصرةُ بلغت الفتح

• هاني نمر عجمي

حينما نُنعم النظر قليلاً في مواقف وممارسات أهالي البصرة في وقتنا الحالي لقضيّة الإمام الحسين(عليه السلام)، نراها تُمثّل أعلى مراتب الوعي وأسمى معاني النُبل والإحساس بالمسؤولية تجاه أئمة الهدى(عليهم السلام).

فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر (زيارة الأربعين) للإمام الحسين(عليه السلام)، ووضوح الدور الريادي لأهالي البصرة في هذه المسيرة المليونيّة الولائيّة التي تبدأ من مدينة البصرة إلى كربلاء مشياً على الأقدام، فإنَّ هذا الأمر يدفعنا للتساؤل حول الموقف المسؤول لأهالي البصرة من القضيّة الحسينيّة، ولربَّما سأل بعضنا نفسه هذه.

الأسئلة:

هل كانت لهذا الولاء جذورٌ تاريخيّة؟

هل كان لأهالي البصرة موقفٌ واضحٌ من معركة الطفّ؟

هل من البصريّين مَن شارك في واقعة الطفّ واستشهد بها؟

ويأتي الجواب واضحاً، وبكلٍّ فخر (نعـــم)، فقد أجابت كتب التاريخ المعتبرة عن كلِّ هذه التساؤلات وغيرها.

لكن -ومع الأسف الشديد- قد وقع على البصرة حيفٌ كبيرٌ ومظلوميّةٌ أكبر؛ لعدم تسليط الضوء من قبل الباحثين على مواقف أهل البصرة في واقعة الطفّ الخالدة، فقد سلبها هذا الإهمال – غير المبرّر من قبل الشيعة، والمقصود من غيرهم – حقّها من اقتران وتدوين اسمها مع الإمام الحسين(عليه السلام) في صفحات التاريخ الخالدة.

فعندما وردت كتب أهل العراق من الكوفة إلى الإمام الحسين(عليه السلام)

وهو في مكّة بعد خروجه من المدينة رافضاً مبايعة يزيد بن معاوية، أرسل كلّاً من مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومولاه سليمان بن رزين إلى البصرة.

وكان كتاب الإمام الحسين عليه السلام موجَّهاً إلى رؤساء الأخماس في البصرة وأشرافها ومنهم: مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمر بن عبد الله بن معمر، بنسخةٍ واحدةٍ يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته.

وقد بلغ يزيد بن معاوية إقبال الحسين عليه السلام ومكاتبته أهل العراق، فكتب إلى عامله في البصرة وأمره أن يضعَ المناظر ويأخذ الطريق.

وفي العشيّة التي أراد ابن زياد الخروج إلى الكوفة بعد استلامه كتاباً من يزيد بن معاوية يوليّه الكوفة بالإضافة إلى البصرة، قام المنذر بن الجارود وسلّم الكتابَ والرسولَ إلى عبيد الله بن زياد فصَلَبَ الرسولَ وضربَ عُنقه، ثمّ صعد المنبر، فخطب، وتوعّد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الإرجاف، ونصَّبَ أخاه عثمان مكانه، ثمّ أسرع إلى الكوفة.

فعلى الرغم من تعسّف وبطش عبيد الله بن زياد وحكومته، فقد كان الشيعة يجتمعون سرّاً في بيت (مارية بنت منقذ العبديّة)، إذ كانت دارها مألفاً للشيعة يجتمعون فيه ويتحدّثون، وكان من بينهم (يزيد بن ثبيط العبدي) من عبد قيس، فعزم على الخروج لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، ومعه اثنان من ولده هما عبد الله وعبيد الله، وكان له من الأبناء عشرة، وخرج من أصحابه معه كلٌّ من عامر بن مسلم العبديّ، ومولاه سالم، وسيف بن مالك العبديّ، والأدهم بن أميّة العبديّ، حتى انتهوا إلى الحسين عليه السلام في مكّة، فلمّا رآه الإمام الحسين عليه السلام دعا له بخيرٍ وضمَّ رحلَهُ إلى رحله.

وعليه يكون يزيد بن ثبيط العبديّ ومَن معه من أهالي البصرة قد ساروا مع الإمام الحسين عليه السلام في موكب النور المحمّديّ من مكّة حتى وصلوا إلى كربلاء بعد أن جعجع الحرُّ بن يزيد الرياحيّ بالإمام الحسين عليه السلام حتى أوصله إلى كربلاء بأمرٍ من ابن زياد والي الكوفة الجديد.

أمَّا يزيد بن مسعود النهشليّ فقد كان من أشراف البصرة، ومن الذين كتب الإمامُ الحسينُ عليه السلام لهم، فقد بيَّنَ موقفَهُ وجهّزَ نفسَهُ وقومَهُ للخروج مع الإمام الحسين عليه السلام، فكتب كتاباً للإمام الحسين جاء فيه: (أمّا بعد... فقد وصل إليَّ كتابُك وفهمتُ ما انتدبتني إليه... فأقدم سَعُدْتَ بأسعدِ طائرٍ فقد ذلَّلتُ لك كلَّ أعناق بني تميمٍ، وتركتُهم أشدَّ تتابعاً في طاعتك من الأبلِ الظّماء







يوم خمسها لورود الماء، وقد ذلَّلتُ لك بني سعد وغسلتُ درنَ قلوبها بماء سحابة مزن حين استهلّ برقها، فلمع)، وبعثه بيد الحجّاج بن يزيد السّعديّ، الذي كان مستعدّاً لنصرة الإمام الحسين عليه السلام مع مجموعة من العبديّين وعددهم سبعة كان من بينهم قُعْنُب بن عمر النمريّ، فالتحقوا بالإمام الحسين عليه السلام في الطفِّ وسلّمُوه الكتاب وبقوا معه.

وفي الليلة التي سبقت يوم العاشر من محرّم في كربلاء جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابَهُ وخطبَهم بعد أنْ حمد الله وأثنى عليه: "... أمَّا بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرَّ ولا أوصلَ من أهل بيتي فجزاكم الله خيراً، ألَا وإنِّي لا أظنُّ أنَّ لنا يوماً من هؤلاء، ألَا وإنِّي قد أذِنتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم من ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوهُ جملاً ودعوني وهؤلاء القوم ليس يريدون غيري)، فقال له أصحابه والله لا نفارقك وإنْ أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا.

وهنا يكمن الاختبار الحقيقيّ، والموقف الثابت، والعقيدة الراسخة بما يؤمنون، فثَبَتَ البصريُّون واجتازوا الامتحان بكلِّ جدارةٍ كبقية أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

وفي صبيحة اليوم العاشر من محرّم عام ٦٠هـ في أرض كربلاء، تبدأ معركة الطفّ الخالدة، ويقاتل ابن ثبيط العبديّ البصريّ بين يدي الإمام الحسين عليه السلام، فيُقتل(رضوان



السائرون في فتح الإمام الحسين عليه السلام (زيارة الأربعين في البصرة ١٤٣٦هـ)

الله عليه) في المبارزة، ويُقتل ابناه عبد الله وعبيد الله وأصحابه في الحملةِ الأولى، وكذلك الحجّاج بن يزيد السّعديّ، وقيل إنَّه قُتلَ مع أصحابه السّبعة في الحملة الأولى مع مَن قُتلَ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، ومن بينهم قُعنب بن عمر النمري البصريّ.

أمَّا يزيد بن مسعود النهشليّ فبعد أنْ جهَّز جيشه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام بلغه مقتل الحسين عليه السلام، فجزع من انقطاعِه عنه.

ومن هنا فإنَّ البصرة لم تكن بمعزلٍ عن الأحداث السياسيّة في المنطقة وتطوّراتها، فقد كان لأهلها موقفٌ مشرّفٌ من واقعة الطفّ كما تبيّن، إذْ بذل البصريّون في حبِّ أهل البيت مهجَهم، ووطّنوا أنفسَهم للقاء الله، وهم بذلك حقَّقوا ما اشترطه الإمام الحسين عليه السلام للالتحاق به وبأهلِ بيته حين قال: (ألَا ومَن كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسَه فليرحَلِ معنا، فإنّي راحلٌ مصبحاً إن شاء الله).

وبلحوق هؤلاء البصريّين الشرفاء بالإمام الحسين عليه السلام، فقد زفوا لنا البشرى ببلوغ أهل البصرة الفتح معَه عليه السلام، إذ قال: (ومَن لحقني استُشهِد ومَن لم يلحقني لم يُدرِك الفتح)، فدوّن التاريخ اسمها معَ اسم الإمام الحسين عليه السلام في سجلِّ العاشقين.



آخرُ شُهدَاءِ الطَّفِّ
(الهَفْهافُ بنُ المُهَنَّدِ الرَّاسِبيّ البَصْرِيّ)

• ياسين يوسف اليوسف



إنَّ كلَّ صفحةٍ من صفحاتِ التاريخ يمكن أن نستلَّ منها الدروس ونستلهم منها العِبَر، غير أنَّ تاريخ العِظام ورجالات الإصلاح أولى أن تأخذَ مساحتها من البحث والتحقيق، وتستأثر في الاهتمام، إذ إنَّ حياتهم احتلّت أنصعَ الصَّفحات، فهم قاماتٌ عِملاقة حفرت ذاكرة التأريخ، ونقشت بصماتها على جبينه، وأعلامٌ أبت أن يتجاهلها الزمن بتقادمه ويلفّها النسيان كما لفَّ الكثير غيرها، من أولئك النجوم، شهداء الطفِّ الخالدون من أصحاب الحسين ﷺ، الذين عبّر عنهم بقوله:

(فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ...) أولئك الذين اختاروا الموت في سبيل الله والعزّة والكرامة، وفضّلوا الشهادة في سبيل إمام زمانهم بعزٍّ وشرف على الحياةِ معَ غيره بذلّةٍ وهوان.

والبَصرة كان لها حضورٌ إيجابيٌّ فاعلٌ في نُصرة الحسين بن علي ع في واقعة الطف عام ٦١ هجري، كما أدَّت أدواراً مماثلةً في نصرة أمير المؤمنين ع في معركة الجمَل عام ٣٦ هجري، وكان في طليعة مَن نال شرف النُّصرة والشهادة في سبيل إصلاح الأمّة في نهضة الحسين ع هو سفيره إلى البصرة سليمان بن رزين الذي جاءَ حاملاً رسالة الإمام إلى الأشراف ورؤساء الأخماس من أهلها، وقتله عبيد الله بن زياد ليلة خروجه من البصرة إلى الكوفة، فكان أوّل قربان من الركب

الحسيني سقطَ مضرَّجاً بدماء الشهادة على أرضها.

ومن دواعي الفخر والوفاء أن نستذكرَ تلك المواقف المشرِّفة لأهل البصرة في النهضة الحسينيّة الخالدة، فما أن بلغهم خبر استعداد الإمام ﷺ وعزمه على الخروج مِن مكّة معلناً صرخته الخالدة



(... إنّي لم أخرج أشراً ولا بطِراً ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح ...) بدأت تحرّكاتهم لنصرته واللّحاق به ﷺ فكانوا يجتمعونَ في دار إحدى النِّساء البصريّات، وتُدعى (مارية العبديّة) فكانت دارها مألفَ الشيعة آنذاك.

البصرةُ والطفّ

هذا وإنَّ نصيبَ البصرة من شهداء الطفّ تسعة نفرٍ هم: الأدهم بن أميّة العبديّ، وكان من شهداء الحملة الأولى، جاء إلى الحسين مِن البصرة والتحق به في كربلاء، وسالم مولى عامر بن مسلم بن حسان بن شريح العبديّ، وعامر بن مسلم بن حسّان بن شريح العبديّ، وسيف بن مالك العبديّ، ويزيد بن ثُبيط العبديّ، وعبدالله وعبيد الله أولاد يزيد بن ثُبيط، والحجّاج بن بدرٍ التميميّ، والهفهاف بن المهنّد الراسبي الأزديّ البصريّ، الذي نال وسامَ الشرف والرتب العالية في دار الدنيا والآخرة، وصل كربلاء بعد مقتل سيِّد الشهداء في ذلك الجوِّ المشحون، وقتَ قطع الرؤوس وإحصائها، وتنافس القبائل في حيازة الرؤوس تقرُّباً لأميرهم، في ذلك الوقت يصِل ذلكَ الفارس الشُّجَاع البصري الذي برَزَ اسمُه مُدافِعاً عنَ نهج عليٍّ والحسين ﷺ.

مَن هو الهفهاف؟

هو الهفهاف بن المهنّد الرّاسبي البَصري الذي قُتِلَ يومَ الطفّ بعدَ شهادة الحسين ع على ما رواه حميد بن أحمد في كتاب الحدائق، قال: كان الهفهاف هذا فارساً شجاعاً بصريّاً، مِن الشيعة ومِن المخلِصين في الولاء، له ذكر في المغازي والحروب، وكان من أصحاب أمير المؤمنين ع، وحضر معه مشاهده كلَّها، ولمّا عقَد الألوية يوم صفّين ضمَّ تميم البصرة إلى الأحنف بن قيس، وأمّرَ على حنظلة البصرة أعين بن ضبعة، وعلى أزد البَصرة الهفهَاف بن المهنّد الراسبي الأزدي... وكان مُلازماً لعليٍّ إلى أن قتل، فانضمَّ بعدَه إلى ابنه الحسن ع، ثمَّ إلى الحسين ﷺ ، وصل إلى أرض الطفِّ بعد صلاة العصر ، سأل: أين الحُسين ؟ فدخل على عُمر بن سعد فسأل القومَ ما الخبر؟ ، أين الحُسين بنُ عليٍّ؟ فقالوا: مَن أنت؟ فقال: أنا الهفهاف الراسبيّ البصريّ، جئتُ لنصرة الحُسين ع حين سمعتُ خروجه من مكّة إلى العراق، فقالُوا له: قد قتلنا الحُسين وأصحابه وأنصاره وكلَّ مَن لحِقَ به وانضمَّ إليه، ولم يبقَ غير النساء والأطفال وابنه العليل علي بن الحسين، أما ترى هجومَ القوم على المخيَّم وسلبهم بنات رسولِ الله؟!، فلمّا سمِعَ الهفهاف بقتل الحسين ﷺ وهجوم الناس انتضى سيفَه وهو يرتجز ويقول :

يـــــا أيُّها الجُند المجنّد
أنـا الهفهاف بن المهنّد
أحمي عيالات محمّد

فسلامٌ على آخر شهيدٍ مِن شهداء الطفِّ يومَ وُلد ويوم لبّى نداءَ الحقِّ واستُشهد في سبيل العقيدة، وسلامٌ عليه في الخالدين .



في رحاب الخليلِ بنَ أحمدٍ الفراهيديّ

يُعدُّ الخليلُ بن أحمدٍ الفراهيديّ البِصريّ من أوائل العلماء النابغينَ النابهينَ في البصرة الفيحاء

• طارق محمد حسن

، فقد تنسّم هواءها، ورشف ماءها، ووطِئ ترابها، وغذَّاها عطاءً وفكراً زاخراً، شكراً للصُغرى من أياديها المِعطاء، ونحن إذ نسلّط الضّوء على سيرة هذا العلم الفطحل، والجبل الخضم، فإنّما نؤرِّخ في الوقت ذاته لتأريخ هذه المدينة العامرة، والدَّوحة السّامقة الحانية على أبنائها، ليتعرّفوا نوابغ علمائها ونوابه شخصيّاتها. فالخليلُ بنُ أحمد الأزديِّ، من فراهيد البصرة، كُنيتُه أبو عبدِ الرحمن، صاحبُ العَروض وكتاب العَين، من خِيار عباد الله من المتقشِّفين في العبادة، ومن مظاهر زهده قوله:

إنْ لم يكن لك لحـمٌ كفاك خَلٌّ وزيتُ
وإن لم يكن ذا وهذا فكسرةٌ ثمَّ بيـــتُ
تظلَّ فيه، وتـــــأوي حتى يجيئك موتُ
هذا لعمري كفـافٌ فلن يغرك ليـــــتُ

وقد نقل السمعاني أنّه ليس بعدَ رسول الله ﷺ من أمَّته مَن اسمُه أحمد ما بينَه وبينَ أحمد الفراهيديِّ أبي الخليل بن أحمد، وعن المبرَّد: أنه فتّش المفتِّشون فما وجدوا بعد نبيِّنا ﷺ من اسمُه أحمد قبل والد الخليل، فكان ولده بتلك المنزلة من الذكاء والعِلم، والزُّهد كرامة لأوّل تسمية باسم رسول الله ﷺ.

والفراهيد -كما في لسان العرب لابن منظور-: جمع فُرهُد: والفُرهُد، بالضمِّ: الحادرُ الغليظُ من الغلمان، وقيل: الفرهود الحادرُ الغَليظ، وهو الناعم التّارّ، ويقال: غلامٌ فلهُد، باللّام أيضاً، أي ممتلئٌ، وقيل: الفرهُد الناعم التّارُّ الرَّخص، ... والفرهُد والفَرهُود: ولدُ الأسد،...وهناك أقوال أُخَر. وهنا يطالعنا قول الأصمعيِّ أنّه سأل الخليلَ بنَ أحمد: ممّن هُوَ، فقال: من أزد عُمان، من فراهيد، قلتُ: وما فراهيد؟ قال: جرو الأسد، بلغة عُمان...

وربّما بانَ بعضُ التناقض فيما أُورِدَ من معانٍ لهذه اللفظة، كالجمع بين الغليظ والناعم التّار الرّخص، مع عدم التصريح بكونه من الأضداد، كلفظ الجَون للأبيض والأسَود، وهذا الاضطراب غريب، وإذا صحَّ ما رواهُ الأصمعيّ عن الخليل في معنى الفَراهيد، بات قولُ الخليل حجّةً في تحقيق اسمِه

وصاحبُ الدار أدرَى بالذي فيها.

وقد تحدّث العلماء عن علمه فقالوا: إنّه كان غايةً في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس، وهو أوّل من استخرجَ العَروض وخصَّ به أشعَارَ العرب، وكانَ من الزُّهّاد في الدنيا المنقطعين إلى العلم، وكان شاعراً مُقلاّ، وإنّه لم يكن في العرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد، ولا أجمع، ...، وكان يحجُّ سنةً، ويغزو سنةً، حتّى مات، وهو أوّل من جمعَ حروف المعجم في بيت واحد وهو من البسيط:

صِف خلقَ خَودٍ كمثلِ الشَّمسِ إذْ بزغَت يحظَى الضَّجيعُ بها: نَجلاءُ معطارُ

وعن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ صِيغ من ذهبٍ، فلينظر إلى الخليل بن أحمد، ثمّ أنشأ يقول:

قد صاغهُ اللهُ من مسكٍ ومِن ذهبٍ وصاغَ راحته من عارضٍ هطلِ

وقالَ تلميذُه النَّضرُ بنُ شُميل: أقام الخليلُ في خُصٍّ من أخصاص البصرة لا يقدر على فلسين، وأصحابُه يكسبونَ بعلمه الأموال، ولقد سمعتُهُ يوماً يقول: إنّي لأُغلق عليَّ بابي فما يجاوزه همِّي، وكان يقول أكملُ ما يكونُ الإنسانُ عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعينَ سنةً، وهي السِّنُّ التي بعثَ اللهُ تعالى فيها محمّداً صلّى اللهُ عليه[وآله] وسلّم، ثمّ يتغيّر وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستّين سنةً، وهي السِّنُّ التي قُبِضَ فيها رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه[وأله] وسلّم، وأصفى ما يكونُ ذهنُ الإنسان في وقت السّحَر.

وكان الخليل رجلاً عاقلاً حليماً وقوراً يُحكى عنه أنَّهُ قال: كان يتردّد إليَّ شخصٌ يتعلّم العروض، وهو بعيدُ الفَهم فأقام مدّة، ولم يعلَق على خاطره شيءٌ منه، فقلت له يوماً قطّع هذا البيت:

(إذا لم تستطع شيئاً فدَعه وجاوزه إلى ما تستطيعُ)

فشرَع معي في تقطيعه على قدر معرفته، ثمّ نهض، ولم يعُد يجيء إليَّ فعجبتُ من فطنته لما قصدتُهُ في البيت مع بُعْد فهمه.

واجتمعَ الخليل وعبد الله بن المقفع ليلةً يتحدّثان إلى الغداة، فلمّا تفرّقا قيل للخليل، كيف رأيتَ ابن المقفّع؟ فقال: رأيتُ رجلاً علمُه أكثرُ من عقله، وقيل لابن المقفّع، كيف رأيتَ الخليل؟، قال: رأيتُ رجلاً عقلُه أكثرُ من علمه.

وقد خصَّ السيّد الخوئي (قدّس سرُّه) الخليل بن أحمد الفراهيدي بترجمةٍ ضافية ناقلاً قول ابن ادريس الحِلي(قدِّس سرّه) في مستطرفات السرائر، أنّه من كبراءِ أصحابنا المجتهدين.

ومِن كلماته وأقواله الحِكميّة:

- قيل: إنّه سُئل الخليل عن الدليلِ على إمامة عليٍّ عليه السلام، على نحو الكلِّ في الكلِّ، فقال: احتياجُ الكُلِّ إليه، واستغناؤه عن الكلّ.

- وقال:" الجهلُ منزلةٌ بينَ الحياءِ والأنفة"، وقال: لا يعلمُ الإنسانُ خطأ معلّمه حتى يجالسَ غيرَه، وقال أيضاً: أيّامي أربعة: يومٌ أخرج فألقى فيه مَن أنا أعلم منه، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي، ويومٌ أخرج فألقى فيه مَن أنا أعلم منه، فذلك يوم أجري، ويوم أخرج فألقى فيه مَن هو مثلي، فأذاكره فذلك يوم درسي، ويومٌ أخرج فألقى فيه مَن هو دوني، وهو يرى أنّه فوقي فلا أكلّمه، وأجعله يوم راحتي".

وللخليل من التصانيف كتابُ العين في اللغة، وهو مشهور، وكتاب العَروض، وكتاب الشواهد، وكتاب النَّقط والشَكل، وكتاب النَغم، وكتابٌ في العوامل، وكتابُ الإيقاع...

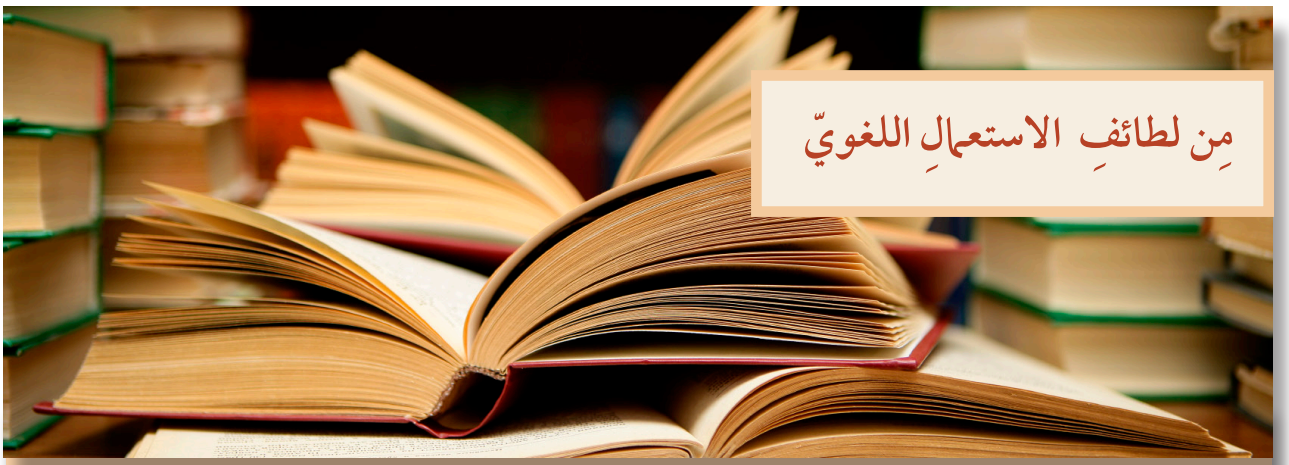
ومِن أبرز تلامذته:

سيبويه النحويُّ البصريُّ،وعبد الملك بن قريب الأصمعيّ، وحمّاد بن يزيد، وأيوب بن المتوكّل البصريّ القارئ، وبَدَل بن المحبّر، وداود بن المحبّر، وعليّ بن نصر الجهضميّ، وأبو فيد مؤرّج بن عمرو السّدوسيّ، وموسى بن أيوب، والنضر بن شُميل، وهارون بن موسى النحويّ الأعور، ووهب بن جرير بن حازم.

وفي وفاته أقوال أشهرها أنّه توفي سنة (١٧٤ هـ)، أو (١٧٥هـ)، وكان سببُ موته حسبما ذُكر أنّه قال: أريدُ أن أقرّب نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البيّاع فلا يُمكنه ظلمُها، ودخل المسجد وهو يُعمِلُ فكرَه في ذلك فصدمته ساريةٌ، وهو غافلٌ عنها بفكره، فانقلب على ظهره فكانت سببَ موته، وقيل بل كان يقطّع بحراً مِنَ العَروض.

فرحِمَه الله من عالمٍ بصريٍّ غذّى الأمّة بعلومه، وعاش باذلاً نفسه في خدمة النّاس.

• د. عامر السعد



مِن لطائفِ الاستعمالِ اللغويّ

(شرى واشترى)، و(باع وابتاع) قد يأتي الفعلان (باع وابتاع) بمعنى الفعلين (شرى واشترى)، وقد لا يكونان مترادفين، فيكون لكلّ منهما معناه الخاص. والمعروف أنَّ هناك أمرين يأتيان بعد هذه الأفعال:

الأوّل (مطلوب) والثاني (متروك)، كما أنّ هناك حرفَ جرٍّ هو (الباء) تدخل على أحدهما على وفق قواعدَ وضعَها علماءُ اللّغة ذات صلةٍ بالمعنى.

فإذا كان الفعل (شرى أو اشترى) بمعناه الأصلي، فالباء تدخل على المتروك، والحكم نفسه ينطبق على الفعل (باع وابتاع) إذا كان بمعنى (شرى أو اشترى)، فنقول: اشتريتُ الكتابَ بدينار، وابتعتُ القلَمَ بدينار، فالباء هنا دخلت على المتروك، وابتعتُ القلَم هنا بمعنى: اشتريتُه.

قال تعالى: «أُولَئِكَ الذِينَ اشتَرَوا الضَّلالةَ بالهُدَى» (البقرة / ١٧٥)، وجاء في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣ / ١٦٦): أنَّ أعرابياً دخل على سليمان بن عبد الملك فقال له ناصحاً: " إنَّه قد اكتنفَك رجالٌ ابتاعوا دنياك بدينهم، ورضَاك بسخطِ ربِّهم، فلا تُصلح دنياك بفسادِ آخرتك"

أمَّا إذا كان (البيع) على معناه الأصلي، فإنَّ (الباء) تدخل على المطلوب، ومنه قولُ مالك بن الريب:

" ألم ترني بعتُ الضّلالةَ بالهدى".

وكذلك الفعل (شرى أو اشترى) إذا كان بمعنى (باع)، فالباء تدخلُ على المطلوب، كما في قوله تعالى: «وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُوْدَةٍ» (سورة يوسف/ ٢٠)، والمعنى هنا (باعوه وقبضوا الثمن، وهو المطلوب.

ولرُبَّ سائلٍ يقول: ما الذي سوَّغَ استعمال كلِّ واحدٍ من البيع والشراء في موضع الآخر؟

وللإجابة عن هذا، نستأنس برأي الراغب الأصفهاني في كتابه (مفردات ألفاظ القرآن)، إذ يقول: إنَّ أكثر مبايعات العرب في الجاهليّة كانت تجري على أساس (بيع سلعةٍ بسلعةٍ)، وبهذا يصحُّ تصوُّر كلِّ واحد منهما مشترياً وبائعاً، فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمَن، والبائع دافع الثمن وآخذ المثمَن، وبهذا فالشراء والبيع متلازمانِ.

من الأمثال: "ضربَ أخماساً لأسداس"



يضرب هذا المثل فيمن يسعى في "المكر والخديعة".

جاء في (مجمَع الأمثال) للميدانيّ: الخِمْسُ، والسِّدْسُ: من أظماء الإبل، والأصل فيه: أنّ الرجل إذا أراد سفراً بعيداً، عوّدَ إبلَهُ أنْ تشربَ خمساً (أيْ تردُ الماء في اليوم الخامس)، ثمّ سدساً (أي في اليوم السادس) حتى إذا أخذت في السّير صبرت عن الماء... والمعنى: أظهر أخماساً لأجل أسداس، أي رقى إبله من الخمس إلى السَّدس.

ويضرب أيضاً لمن يُظهِر شيئاً ويريد غيره، وقد ذكر ابنُ الأعرابي لمن يُظهر المثل فقال:

أصلُ ذلك أنَّ شيخاً، كان في إبله، ومعه أولاده، يرعونها، قد طالت غربتهم عن أهلهم، فقال لهم ذات يوم: ارعوا إبلكم ربعاً (أي أوردوها الماء في اليوم الرابع)، فرعوا ربعاً نحو طريق أهلهم، فقالوا: لو رعيناها خمساً، فزادوا يوماً قبل أهلهم، ثمّ قالوا: لو رعيناها سدساً: فقضى الشيخ لما يريدون، فقال: ما أنتم إلّا ضرب أخماس لأسداس، ما هَمَّتُكم رعيُها، إنَّما هَمَّتُكم أهلكم، وأنشأ يقول:

وذلك ضربُ أخماس أراهُ لأسداسٍ، عسى ألاّ تكونا

وفي حادثة التحكيم قال خُزيم بن فاتك الأسدي:

لو كان للقوم رأيٌ يرْشدُون به أهل العراق، رمُوكُمْ بابنِ عباس

لله دَرُّ أبيه، أيُّما رَجُـــــلٍ ما مثلهُ في فصال القوم في الناس

لكنْ رَمَوْكُمْ بشيخ من ذوي يمنٍ لم يَدْرِ، ما ضرْبُ أخماسٍ لأسداس

وقد يجري على ألسنة الناس القول: (ضرب أخماساً في أسداس)، أو (بأسداس) وهذا خطأ والصواب: «ضربَ أخماساً لأسداس".

وقال تعالى: "يضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ"، ولم يقل: في الناس أو بالناس.

شاعرٌ من البصرة

"العَجَّاج"

يُعدُّ (العَجَّاج) من كبار الرُّجّاز في الأدب العربي، وقد حظيَ بمنزلةٍ رفيعةٍ لدى علماء العربيّة، ومؤرّخي الأدب ونقّاده.

أمَّا اسمه فهو (عبد الله بن رؤبة من بني سعد بن مالك بن زيد التميمي) وقد لُقِّب بالطويل لطول قامته، كما لُقِّبَ بالعجَّاج لبيتٍ قاله في إحدى أراجيزه:

"حتى يعجَّ ثَخناً من عجعجا"

والعَجَّاج هو الكثيرُ الصِّياح، والعجعجة: صوتُ الإبل.

ومن جميل أراجيزه الزاخرة بالقيم والمعاني الإسلاميّة السامية قوله:

الحمدُ لله الذي استقلّت بإذنه السماءُ واطمأنّت
بإذنه الأرضُ وما تعتّت وَحَى لها القرارُ فاستقرّت
وشدّها بالراسياتِ الثُّبّتِ والجاعلُ الغيثِ غياثَ المُسنت
والجامعُ الناسَ ليومِ المَوْقتِ بعدَ المماتِ، وهو محيي المُوَّتِ
ربُّ البلاد والعباد القنّت

(استقلت: نهضت/ ما تعتّتِ: لم تتكبَّر ولم تعصِ/ القنّت: الذين يدعون ويقنتون لربهم/ المسنتون: الذين أصابهم القحط).

زهدٌ وقناعةٌ

وجّه سليمان بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة رسولاً إلى الخليل بن أحمد يلتمسُ منه الشخوص إليه وتأديب أولاده، وكان سليمان والياً على فارس والأهواز، فأخرج إلى رسوله خبزاً راسباً وقال:

" كُلْ فما عندي غيره، وما دمت أملكه فلا حاجة بي إلى سليمان"، فقال الرسول: فما أبلغ عنك؟ فأنشأ بقول:

أبلغْ سليمانَ أنِّي عنه في سعةٍ وفي غنىً غير أني لستُ ذا مالِ
سخي بنفسي أني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حالِ
الرزق في قدرٍ لا الضعف ينقصهُ ولا يزيدك فيه حولٌ محتالِ
والفقر في النفس لا في الحال تعرفهُ ومثل ذاك الغنى في النفس لا المالِ

من جميل القول

قال الإمام عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام:

* " ليس أمري وأمركم واحداً، إنّي أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسِكم".

* قيل للخليل بن أحمد الفراهيدي: لم لا تقول الشعر؟ أجاب: يأباني جيِّدُهُ، وآبى رديئَهُ.

حِلْم

يخاطبني السفيهُ بقبح قولٍ
وأكره أن أكونَ له مجيبا
يزيدُ سفاهةً فأزيدُ حِلْماً
كعودٍ زادهُ الإحراقُ طيبا

ابتسم

* دخل أحد النحويين السّوق في البصرة فسمعهم يلحنون، فقال: سبحانَ الله ! يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحنُ ولا نربح.

* قال الطبيب للمريض: مفعول هذا الدواء قويٌّ جدّاً، ولكي تستطيع أنْ تتناوله، يجب أن تكون بصحّةٍ جيّدةٍ.

خَفقةُ الوَسنان

• د. عبد الجبار الحلفي

انحسرت رجفةُ الظِّلال عن بساط الماء، بعدَما غادرت الشمس خطَّ الأفق، ولم يتبقَّ سِوى حفيفٍ باهتٍ لشجرة البرهام بأغصانها السامقة المتشابكة مع أغصان شجرة اليوكالبتوس، وبانت منازل (كردلان)، مثل حائط طويل كالح اللون، وصفُّ النّخيل على ساحل التّنومة يبدو متعباً في وحدته ... كأنّما غمرَه ظلُّ السماء الثقيل، وقد غادرت النوارس الشطَّ إلى المجهول ... .

أينَ تبيت النوارس ...؟

تساءل الرجل الثلاثينيّ العمر بيقظة مترعة بالدهشة .

ومعبرًا الجامعة و التنومة يتبادلان رحلتا الرواح و الغدو بين ضفَّتَي الشطّ الهادئ .

شدَّت انتباهه سلحفاة تصعدُ إلى سطح الماء الرقراق، ثمَّ تغطس... كأنّما تستحِمُّ في حمّامها الخاصّ. تذكّر حمّام السِّيف... وحمّام سوق الذهب ... إذ استحمَّ فيهما معَ قِلَّة مِن الأصدقاء قبل سنوات ملأى بالمرح ...

و الأمان ...

وحتّى الطيش أحياناً.

مرَّ زورق عشّاري تدفعُه ريحٌ خفيفة باتجاه الجنوب...حرّك الزورق كتلةَ الماء...حوّل بصرَه نحوَ مكان السلحفاة ... سلحفاة أخرى تتشمّم رأس سلحفاة ... تلألأت أمامه سطور من الذكر الحكيم «ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ و البحر».

كان الرجل منزوياً في ركن المقهى الذي يؤمُّه بعضٌ من الطبقة الوسطى في المدينة ... وقد وضع كتاباً على المنضدة أمامه، اصطحبه بطلب من أحد الأصدقاء،... سامر... الذي سيأتي إلى المكان هذا المساء... كالعادة في يوم الجمعة... لكن الرجل مهموم بحال المدينة من ساسة البلاد ... كمن يُفلت مِن أوجِرة السِّباع ... انتفض لتقادم الوقت ... وسامر لم يأتِ بعد ... هو مهموم بشيءٍ ما ثقيل ... ثقيل كضيفٍ غير رَزان ... !! لم تعُد الصداقات كما هي ... ناكر الإحسان ... جبان .. ودنيء .. وسفيل ... هذا ملاذك ... أليس كذلك؟.

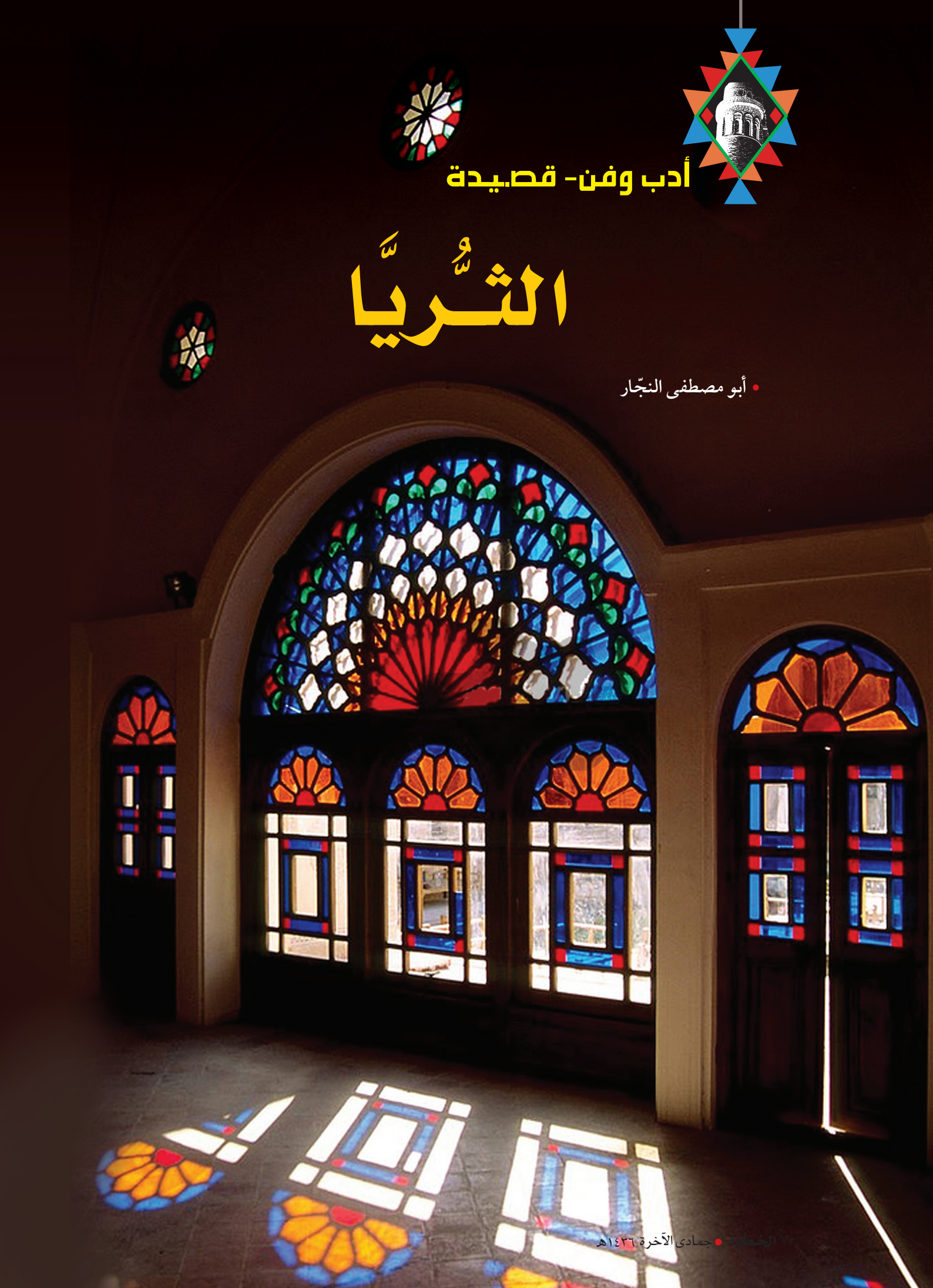
ربَّما نعم ... وقد لا يكون كذلك ... إلى متّى تستحمُّ بهذا الصهير ... رأسُك لا يتوقّف عن نزيف الصُّوَر الملتهبة... المدينة الآن بدت صاخبة، و المقهى لم تعد فيها مناضد فارغة ... وسامر تخلّف .. ربّما نسي ... بيته في أقصى التّنومة ... هذا الكتاب وَجه سامر ..

سأعترف لك ... يا سامر ... أني ارتكبتُ خطأً في يوم ما بحقك في قضيّةٍ ما ... ربَّما أخفيته عنكَ لتبقى صداقتنا ناصعة كالذهب الخالص ... أو مثل نجمة الصباح في الربيع ... آه لو حضرت الآن لأبوح لك بشيءٍ ما.. قد يسرُّك .. الأمنية حبيسة ظرفها .. هل لنا من فرصة ... و إن كانت بحجم سَمِّ الخِيَاط ... لنفكّر بالأمل ... تطلعاتنا يدفنُها الآخرون ... ذووا القلوب القاسية في الأحقاف ... نحن الآن محاصرون في عالم يقطرُ دماً عبيطاً ... وقتال .. قتال بين إخوة يوسف ... أسراب مِن الموتى نحو وادي السلام .. أو نحو مدفن الحسن البصري ... أرواحنا يتأبّطها السأم ... ورآتنا تتنفس الإحباط ... نرقب شمال الأرض بتوقٍ مفرط .. حياة مترعة بفخامة الأمل ... ويومنا يا سامر صدِيء ... تقشط أحلامنا نصالٌ همجيّة ...رعناء ... مثل هزات خانقين ... ومذابح طوزخورماتو ... مَن يذبحُ مَن ؟؟.

أحسُّ بنداوة الشطِّ .. طفَح سيلٌ مِن المشاهد النائمة في ذاكرته الكتيمة ... كان حاملاً أمّه على ظهره يطوف في بغداد قاصداً مستشفى العلوية...هناك خضعت لجلسات "بالكيماوي" لأيّام طويلة...والناس يحدّقونه ببلاهة ...شاب يحمل عجوزاً... مِن تكون؟ سألتْهُ إحدى الموظّفات مَن تكون؟ أمّي ... شُفِيَت ... عاد بها إلى البيت ... شكرته...



قبّلته ... الحمدُ لله أنت بارٌ يا ولدي .. وليلى ما عدَت تراها ... كانت أمنية خالصة ... لا يهم ... كلُّ شيء بقدَر ... وجوه مرقت أمام عينيه بذاكرة مستنفرة ... عساها طمست تلك الوجوه ... أو تحلَّ بها قارعة ... المدينة ربيبة الفراغ .. أرض حزنة .. هوّمت عيناه ... ضمَّته خفقة الوسنان ... مسحت وجه الماء دفقة عابرة مِن الهواء ..... فباتت مويجات بأجنحة بيضاء ... هاجس شاذ .. لم يزايله طول مكثه ... شيء ما مخبَّأ فيما بقي مِن الوقت ... أعقب ذلك صراخ وضجيج .. هبَّ روَّاد المقهى .. و النساء تولول .. صرخ النادل فزعاً شاقّاً طريقة خارج أسوار المقهى ... "سقط ذراعُ العبّارة معَ الركاب" ...!!



أدب وفن- قصيدة

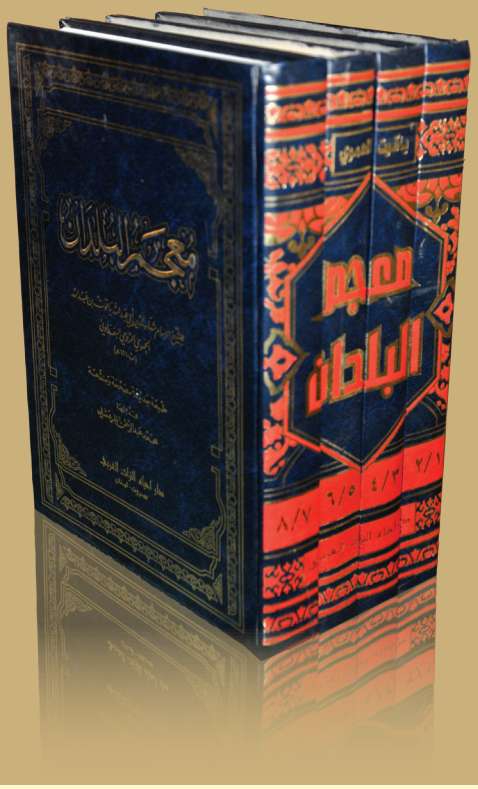
الثُّرَيَّا

• أبو مصطفى النجّار

قلبي على أوتارِهِ يعزفُ ... وعينُ أشواقي لهُ تذرفُ
ورقةُ الشعرِ بسوحِ اللّقا ... من خصرِ أنسامِ اللّقا أهيفُ
وكفُّ روحي منْذُ أنْ صَافحتْ ... كفَّ الثريّا لم تَزلْ ترجُفُ
يا صاحبَ الجودِ انحنتْ هيبةً ... كي ترتوي من فيضِكَ الأحرفُ
والصبرُ أقوى عندَ أهلِ الحجَى ... في الذودِ لم يفتكْ به المُرهَفُ
قد زلزلَ العبّاسُ أقدامَهُمْ ... ما مرَّ فيهمْ يومَهَا أعنفُ
فالسّيفُ ريحٌ صَرْصَرٌ عاصفٌ ... والبرقُ من أبصارِهِمْ يَخْطِفُ
والنهرُ يبدو ماسكاً كفَّهُ ... شوقاً ويشدو والفتى يعزفُ
قَدْ قَصَّ بعضاً من مُعاناته ... للنهرِ لا كلَّ الذي يعرِفُ
كم من عزيزٍ راحَ يشكو الظَّمَا ... والجرحُ في أحشائِهِ ينزِفُ
لا لنْ أذوقَ الماءَ حتى أرى ... منه ابنَ أشرافِ الورى يرشُفُ
هذا هوَ العبّاسُ بحرُ التقى ... والجودُ من أركانه يغرفُ
لو خَطَّ أهلُ الوصفِ أوصافَهُمْ ... بالتبْرِ والياقوتِ ما أنصفوا
يا آلَ بيتِ المجدِ أهلَ التُّقى ... عنكَمْ قلوبُ النَاسِ لا تُصْرَفُ
لو عدَّ أهلُ الأرضِ أشرافَهُمْ ... يا آلَ طه أنتمُ الأشرفُ
كم وقعةٍ فيها لكم وقفةٌ ... ظَنَّ العِدَا أنْ ما لهم مَصرفُ
ما زالَ صوتُ الحقِّ من كربلا ... ما في كُلِّ يومٍ بالورى يهتفُ
سَلْ صفحةَ التاريخِ عن يومِهِمْ ... قد فازتِ السَّبعونَ والنَّيِّفُ



قراءة في كتاب



البصرةُ في كتاب معجمِ البلدان لياقوت الحَموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

• أحمد وادي الموسوي

تُعَدُّ مدينةُ البصرةِ من أهمِّ الحواضر الإسلامية في العالم وأكبرها في الماضي والحاضر، وفي شتى النَواحي والطُرُق، وهي أيضاً مدينةٌ غنيَّةٌ بخيراتها وبعناصرها البشريَّة منذ نشوئها وحتى الوقت الحالي، وقد مرَّت هذه المدينة العريقة على مر التاريخ بالكثير من التجارب، حتى أصبحت من أهم الأمصار الإسلامية إذ سميت بقبلةَ الإسلام وحزامَ العرب وعينَ الدنيا، ويجدَ المتتبع في كتاب معجم البلدان أنَّها مرَّتْ بمراحلَ متباينةٍ منذُ تمصيرها سنةَ ١٤هـ/ ٦٣٥م على يد عتبةَ بن غزوان الذي أرادَ من بنائها أنْ تكونَ مُعسكراً مؤقَّتاً ليلائمَ ظروفَ الفتوحاتِ العسكريَّةِ آنذاكَ وبناءً على تعليماتٍ مباشرةٍ من الخلافةِ في المَدينةِ المنوّرة، مروراً بتوسُّع رقعتها الجغرافيَّة نحو الشِّمال والشِّمال الشَّرقيِّ الذي رافقهُ تطوُّرُ البناءِ العمرانيِّ بعد هجرةِ القبائلِ المُضريَّةِ وغيرها إليها واستقرارها بها ثم مجيءِ عناصرَ وفئاتٍ أجنبيَّةٍ مثل الزط والسيابجة والأساورة وغيرهم، وما نتج عنهُ نزولُهم بها من بناءِ الأسواقِ والدُّورِ الواسعةِ وتوسيعِ مسجدها الجامعِ وبناءِ الحماماتِ وحَفرِ الأنهارِ وغيرها الكثير من الأعمالِ العمرانيَّةِ المتنوِّعة.

وقد أصبحت هذه الحاضرة على درجةٍ كبيرةٍ أيضاً من التطوُّر والرُّقيِّ الفكريِّ والثقافيِّ، وقد خرَّجتْ الكثيرَ من جهابذةِ العلم في فنونٍ مختلفةٍ مثل النحوِ والأدبَ والتاريخ والحديثِ والاقتصاد، ومن هؤلاءَ على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ الخليلُ بن أحمد الفراهيديُّ وسيبويه والأصمعيُّ ومالكُ بن دينار و عمر بنُ شبة وغيرهم الكثيرُ من العلماءِ المنسوبينَ إليها، ولهذا فقد كتبَ علماؤها الكثيرَ من الكتاباتِ سواءً اختصَّتْ بالحديثِ عن مدينتهم أم شملتْ بحديثها باقي مدنَ العالَمِ الإسلاميِّ وفي شتى الفنونِ والمعارف.

هذا وقد تناولتْ المصادرُ الجغرافيَّةُ الإسلاميَّةُ الحديثَ عن شؤونها

في صفحاتٍ كثيرةٍ ومتفرِّقةٍ حتى أنَّها لم تدعْ صغيرةً ولا كبيرةً تخصُّها إلَّا وطرقتْها وقد غلبَ على طابعها العام التركيزُ على الجانب الجغرافي من ناحيةِ الموقع والتَّسميةِ والحدودِ الجغرافيَّةِ والمسافاتِ الفاصلةِ بينَها وبينَ المدنِ الأخرى والمناخ وغيرها.

ويُعَدُّ كتاب معجم البلدانِ لمؤلِّفه ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، من أبرزِ المصادرِ البلدانيَّةِ التي تناولتْ الكلامَ عن رقعةٍ جغرافيَّةٍ واسعة تمتدُّ من الصِّينِ شرقاً إلى الأندلس غرباً، وقد تناولَ في كتابه هذا الحديثَ كثيراً عن هذه المدينةِ العظمى في العراق تمييزاً لها عن البصرة الأخرى في المغرب متحدثاً عن جغرافيتها وحياتها السياسيَّةِ والإداريَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ والعمرانيَّةِ والفكريَّةِ وغيرها في فترةٍ زمنيَّةٍ طويلةٍ من إشاراتٍ بسيطةٍ عن تاريخها قبل البعثةِ النبويَّةِ إلى بداياتِ القرنِ السابع الهجريِّ/ الثالث عشر الميلادي، وتحديداً إلى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م.

ففي الجانبِ الجغرافيِّ تناولَ موقعَ البصرةِ في الأقاليمِ السَّبعةِ وطولَها وعرضَها الجغرافيَّ، ومعنى اشتقاقِ اسمها اللغويِّ، وهل يرجعُ أصلُ تسميتِها إلى الأصلِ العربيِّ أو الفارسيِّ، وتسمياتَها المختلفة، وتحدَّثَ عن ظاهرةِ المدِّ والجزرِ في مياهِها من خلالِ معاينتِه الشَّخصيَّةِ لهذه الظاهرةِ، ونتيجةَ لشغفِ ياقوت وحبِّه الشعرَ والأدبَ فإنَّنا نجدهُ يوردُ الكثيرَ من الأشعارِ في كتابه من ضمنِها أشعارٌ تتغنى بها، ومن هذه الأبيات ما ذكر عن مدح أحد قصور البصرة بالقول:

يا وادي القصر نعم القصر والوادي
* من منزل حاضر إن شئت أو بادي
ترى قراقيره والعيس واقفة *
والضب والنون والملاح والحادي

وقد ذكرَ أبياتاً شعريَّةً تخصُّ طبيعةَ أرضها عندَ اللغويينَ العرب، وتحدَّثَ أيضاً عن مدنِ ولايةِ البصرةِ بعد توسُّعها الجغرافيِّ والإداريِّ، مثلَ مدنِ الأبلة، وشاطئ عثمانَ، والخريبة، وميسانَ، وغيرها، متناولاً الحديثَ عن موقعها الجغرافيِّ واشتقاقِ اسمها اللغويِّ وما يتعلَّقُ بها، وتحدَّثَ عن شارعِ وسكّة وسوقِ المربد، واشتقاقِ اسمه اللغويِّ، وتكلَّمَ كذلك عن منازلِ القبائلِ فيها التي جرى تقسيمُ خططِها منذُ البدايةِ حسبَ التقسيمِ القبليِّ من خططٍ ومحلَّاتٍ وبلداتٍ ونواحي وقرىً وأعمالٍ وسككٍ وأصقاعٍ ووديانٍ تابعةٍ لها، وتطرَّقَ للحديث عن مساجدِها ودارِ أمارتها، وتكلَّمَ عن أنهارها ومياهِها وخليجِها من حيث الموقعُ والنسبةُ والمجرى وغيرُها، ونوَّهَ كذلكَ إلى مُشكلةِ ملوحةِ ماءِها وسباخةِ أرضها وإجراءاتِ السُّلطةِ الحاكمةِ للحدِّ من آثارِ هذه المُشكلةِ التي ما زالتْ مُستعصيةً حتى الوقتِ الحالي، ثم تناولَ الكلامَ عن المدنِ والمياهِ والجبالِ والمواضعِ والنواحي الواقعةِ بينَ البصرةِ والمدنِ الإسلاميَّةِ الأخرى مثلَ الكوفةِ وواسطَ ومكَّةَ والمدينةِ والأهوازِ وغيرها.

وفيما يخصُّ الجانبَ السِّياسيَّ للبصرة، تحدَّثَ بإشاراتٍ عن أيَّامِ العربِ التي وقعتْ بينَ القبائلِ السَّاكنةِ بجوارِ باديتها، وبداياتِ فتحها وتمصيرها، وعن الدورِ الذي لعبته في فتحِ بلادِ فارس، وذَكَرَ خُطَبَ الإمامِ عليٍّ عليه السلام عندَ نزولِه فيها بعدَ معركةِ الجمل، وفي العصرِ الأمويِّ تناولَ الحديثَ عن الثوراتِ والحركاتِ فيها كالخوارجِ وثورةِ آلِ الزُّبير، وحركةِ ابنِ الأشعثِ وبداياتِ الدَّعوةِ العبَّاسيَّةِ وعلاقةِ هذه الحاضرةِ بها، وعن ثورةِ يزيدَ بنِ المُهلَّبِ بن أبي صفرةَ وغيرها.

ولكنَّ هناكَ ملاحظاتٍ حولَ مادَّةِ ياقوت عن أحوالِ البصرةِ السِّياسيَّةِ التي تناولَ الحديثَ عنها بطريقةٍ جغرافيَّةٍ ممَّا جعلَها مادةً مختصرةً ومقتضبةً في بعضِ الأحيان، وأحياناً أخرى نجدهُ يوردُ تفاصيلَ مهمَّةً عن دورها في فتحِ بلادِ فارس، ويُسهبُ في أخبارِ تمرُّدِ شخصٍ مُدعٍ للنبوَّة، ودورِ شخصٍ آخرٍ من أهلِها في

أحداث هذا الحركة على الرَّغم من أنَّهُ لا علاقةَ له بأحوالها السِّياسيَّة، ممَّا جعلَ مادَّتَهُ متناقضةً من ناحيةِ التفصيلِ والاختصار، وتناثرِ هذه المادةِ في صفحاتِ الكتاب، وكذلكَ عدمَ دقَّتِه التاريخيَّةِ في بعضِ الأمورِ التي لا مجالَ لذكرها هنا.

وفيما يخصُّ الجانبَ الاقتصاديَّ والعمرانيَّ فقد تحدَّثَ عنهُ ياقوتُ باقتضاب واختصار تارةً وإسهاب وإطناب تارةً أخرى، فتحدَّثَ عن زِّراعتها متناولاً طبيعةَ التربةِ والتوزيعَ الجغرافيِّ لمناطقِ زراعةِ النخيلِ ومواضعِ انتشارِه فيها والعواملَ المؤثِّرةِ في زراعته، وتحدَّثَ أيضاً عن التجارةِ والصِّناعةِ والأسواقِ وغيرها، وبالنسبةِ للجانبِ العمرانيِّ تكلَّمَ عن بناءِ القصورِ والدُّورِ والحماماتِ فيها، وتحدث عن أقطاعِ الضِّياعِ والأراضي وتناول كذلك الحديثَ عن عملياتِ حفرِ الأنهارِ فيها.

وفي الجانبِ الاجتماعيِّ تحدَّثَ ياقوتُ في معجم البلدانِ عن التقسيماتِ الاجتماعيَّةِ لسكّانها بعدَ فتحِها وتمصيرِها المتضمِّنَةِ ذكرَ أسماءِ القبائلِ العربيَّةِ الخمسةِ التي سكنتْها وهي (تميمُ، بكرُ بن وائل، الأزدُ، عبدُ القيس، أهلُ العالية) مُتحدِّثاً عن أماكنِ نزولِها في المدينةِ وغيرها من المدنِ الأخرى، وتحدَّثَ عن العناصرِ غيرِ العربيَّةِ التي دخلتْ واندمجتْ في المجتمعِ البصريِّ لاحقاً مثلَ البخاريَّةِ والزَّطِّ والزَّنجِ وأماكنِ نزولِهم وسكناهم فيها وغيرها من الأمورِ الأخرى.

وفي الجانبِ الفكريِّ تصدّى ياقوتُ عند ترجمتِه لكثيرٍ من المواضعِ المشهورةِ في الكلامِ عن الكثيرِ من مُحدِّثي وأدباءِ ونحويِّي ومؤرخي البصرةِ متناولاً ذكرَ أسمائِهم وموعدَ ولادتِهم ووفياتِهم – إنْ توفَّرَتْ عندهُ – وشيوخَهم وتلاميذَهم ومؤلفاتِهم وذِكْرَ شيءٍ من مرويّاتِهم ورحلاتِهم في طلبِ العلمِ وغيرها، وكذلكَ تحدَّثَ عَمَّن دخلَ إليها طالباً للعلمَ وممَّنْ سمعَ من علمائِها ثم بقاؤهُ أو رحيلهُ عنها.

وحولَ مروياتِ ياقوت عنها نقولُ إنَّهُ تناولَ الحديثُ بخصوصها من خلالِ بعضِ مشاهداتِه الشَّخصيَّةِ لأنَّهُ كانَ يمرُّ عليها أثناءَ رحلاتِه التجاريَّةِ إلى جزيرةِ قيس (كيش) ممَّا جعلَهُ يشاهدُ بعضَ قراها ومدنَها التابعةِ لولايتها، وكذلك نقل عن كتاباتِ من سبقوه بالحديث عنها في هذا المجالِ وبالخصوص عن كتاب(فتوح البلدان) للبلاذري (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، ونقل عن كتاب(تاريخ البصرة) لزكريَّا السَّاجي الشَّافعي البصريِّ(ت٣٠٧هـ / ٩٢٠م)، الذي ما زالَ مفقوداً لحدِّ الآنِ ونَقَلَ عنهُ ياقوت فقط في معجمِ البُلدان، ونقلَ كذلك عن بعضِ مؤلَّفاتِ الجاحظِ(ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).

وفي الختامِ نقولُ: على الرغم من المؤاخذاتِ حولَ مادَّةِ ياقوت في معجمِ البلدانِ عن تاريخِ البصرةِ وأحوالِها العامَّةِ التي يَغلَبُ عليها المنهجُ الجغرافيُّ كما أرادَها مؤلِّفُ الكتاب، إلَّا إنَّ هذه الرواياتِ والأخبارَ عنها تعدُّ ثمينةً وقيِّمةً، لأنَّ قسماً منها غيرُ موجودٍ في الكتبِ الأخرى، فضلاً عن أنَّ ياقوت عُرِفَ بمنهجِه النقديِّ والتحليليِّ للظواهرِ والأمورِ الغريبةِ غيرِ المألوفةِ عندَ الناس، وقد شملَ هذا بعضَ أخبارِ تاريخِ البصرةِ وأحوالِها، ممَّا عكسَ لنا أهَمِيَّةَ استخراجِ المادَّةِ التاريخيَّةِ عن المُدنِ الإسلاميَّةِ وغيرها من خلالِ المصادرِ الجغرافيَّةِ ودراستِها.



مواكبُ النّور
(مضيفُ أهالي المِدَيْنَة)

• عبد العزيز مسلم

العيونُ البواكي لا تبكي يومَ الحسرةِ والندامة، إذ إنّ فيه كلَّ عين باكيةٌ إلا ثلاث، فعينٌ بكت من خشيةِ الله، وعينٌ باتت تحرس في طاعة الله، وعينٌ بكت على مُصابِ ابن خيرِ خلقِ الله سيّد الشهداء العطشان بأرض كربٍ وبلاء. كَيف لا؟ وهذه العيون تقاطرت دموعُها خشيةً وطاعةً وتقرّباً إلى الله، خصوصاً تلك العيون التي أخبر النبيُّ صلى الله عليه وآله ابنته السيّدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها وإيّاه شفعاء لأصحاب تلك العيون التي تأتي يومَ الجزاءِ ضاحكةً مستبشرةً بنعيم الجنّة، لا يُصيبها الفزع الأكبر بما كان من إقامتهم العزاء وتجديده سنةً بعد سنة وجيلاً بعد جيل، فحظوا بالسّعادةِ الكبرى في جوار النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، ولله دَرُّ الشاعر الذي يُخاطب سيّد الشهداء، إذ يقول:

تبكيكَ عيني لا لأجلِ مثوبةٍ
لكـنّما عيني لأجـلِكَ باكــية
تــبتلُّ منـكم كربلا بــدم ولا
تبتلُّ منّي بالدمـــوعِ الجاريـة





فمن تلك العيون التي بكت غريبَ كربلاء، عينُ الصحابيّ الجليل جابر بن عبدالله الأنصاريّ، الذي صادف وصولُه أرض الطفِّ يومَ الأربعين، مع وصول الإمام السجّاد عليه السلام، وحرم وذراري آلِ الرسول صلى الله عليه وآله العائدينَ من السّبي، فكانت زيارة الأربعين التي صارت من أعظم الشعائر، بل من علاماتِ المؤمنين تتواصى بها الأجيال، ويبذلون لأجلها الغالي والنفيس، لا تهمُّهم ضريبة المال والدماء التي فُرضت عليهم من أعدائهم. وللبصرة تأريخٌ حافلٌ في تسيير المواكب إلى كربلاء، في الأربعينيّات وما بعدها، فكان شباب المواكب يخرجونَ للعزاء على شكل حلقاتٍ، وأذكر من تلك المواكب موكب الوحدة، وموكبٍ ربيعة وموكب شباب الصينخ، وموكب السّرّاجيّ، وغيرها من المواكب التي أسهمت بشكلٍ كبير في حفظ العزاء الحسينيّ وانتشاره إلى بقاع المعمورة، واليوم بحمدِ الله انتشرت مواكب العزاء والخدمة على طول طريق الزائرين الذين يمشون من البصرة إلى زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، ومن بين تلك المواكب الخدميّة (مضيف أهالي المدينة)، الذي أسّسه



الشيخ عبدُ الغفّار العِوَضي مع مساعده السيّد قاسم الموسوي في عام ٢٠٠٣م. وقد كانت نواته مجموعة من الشباب، ثمّ تطوّر في السنة الثانية إلى ثلاثة مضايف، ثمّ تطوّر إلى أن أصبح في السَّنة الرابعة مضيفاً كبيراً يضمُّ خمسةً وعشرين موكباً، أُطلق عليها (وحدةُ المواكب الحسينيّة) الخاصّة بقضاء المُدَيْنَة لخدمة زوّار أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وقد وفّقنا الله تعالى في الرّحلة الصفريّة (رحلة زيارة الأربعين) أن نُبصرَ تلك العيون البواكي مصابَ ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبلنا عليهم، وضفناهم قبيل صلاة الظهر، وبينما هم يرحّبون بنا إذ أقبلَ عليهم مجموعةٌ من رجالِ الدّين مِنَ النّجف الأشرف، كانوا يؤدّون وظيفتهم الدينيّة في دعم المواكب الحسينيّة.

امتاز هذا الموكب بموقعه وشكله الجذّاب، إذ يتكوّن من عدّة خيم عربيّة لها هيبةُ الأصالة، وتحكي عراقةَ التراثِ البصريِّ الجميل، إذ بُنيت هذه الخيم على حافّة طريق الزائرين، قبل جسر المُدَينة، ولأجل أن لا تكون مزاحِمَةً حركةَ سير المركبات، بادر المضيف إلى إحداث استدارةٍ مروريّةٍ زُرِعت بالورود بشكلِ سيفِ مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام ذي الفَقار، وبالتعاون مع مديريّة البلديّة، ومديريّة المرور في القضاء، وفُتحت هذه الساحة لتخفيف حدّة الاختناقات، وكان لرجال المرور دورٌ كبيرٌ في تسيير حركة المركبات أداءً منهم لوظيفتهم في خدمةِ عشّاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ومن أروع الخدمات التي قدّمها هذا الموكب المبارك هو دمج الغذاء الروحيّ مع الغذاء الماديّ، وهذا بفضل رجال الدّين الكرام المتواجدين في



الشّيخ عبد الغفّار العوضي



السيّد قاسم الموسوي



خدمة أحبّاء سيّد الشهداء عليه السلام. فقد قام أصحاب المضيف والقائمون عليه بفتح خيمةٍ مختصّةٍ بالإرشاد والتبليغ، مهمّتها توزيع الفتاوى التي صدرت عن المرجعيّة العليا باستفتاء من الأخوة الكرام، والتي يبلغ عددها أربعمائة إلى خمسمائة، في المجالات العباديّة والأخلاقيّة كافّة، ممّا يتعلّق بسير وسلوك الزائر، كحشمة المرأة، وملابس الشباب، وطريقة حلاقة الرأس، وغيرها.

وللموكب إصداراتٌ خاصّةٌ به، تقوّي عقيدة الزائر وتؤصّل محبّة أهل البيت عليهم السلام في نفسه، وتغذّي روحه بنفائس وكنوز الحِكَم





الواردة عن أهل بيت العِصمة والطهارة. ولِصلاةِ الجماعة دورٌ رائعٌ في إعطاء الزائر شحنةً من العزم والولاء والتمسّك بثوابت وعُرى الإيمان. ومن لطائف إنجازات هذا المضيف الكريم طباعة مائة بوستر تحثُّ على رعاية النظافة، فإنّها من علامات المؤمنين، ويحتوي هذا الملصق على فتوىً من المرجعيّة العليا (دام ظلّها الوارف)، وزِّعت على أربعين موكباً، وقد شُكّل موكبٌ خدميٌّ باسم(موكب أحباب الزهراء عليها السلام الخدمي) للقيام بوظيفته في هذا المجال، وقد زُوِّدوا من قبل بلديّة المدينة بسيارة تنظيف للقيام بهذه المهمة .

ولهذا الموكب المتميّز تعاونٌ وثيقٌ مع رجال الأمن الكرام والصِّحَّة، فقد أُنشئت لجنة أمنيّة ترعى أَمنَ الزائرين، وأمنَ الموكب، ولجنة أُخرى للصِّحّة، إذْ توجد مفرزة طبيّة رجاليّة ونسائيّة تسعى لرفع حاجة المؤمنين الذين أجهدهم السّير وأصابهم التعب والتشنُّج.

والجدير بالذكر أنّ هذا الموكب يقوم بنقل خدماته بعد انتهاء الخدمة في هذا المكان إلى ناحية الدراجيّ التابعة لمحافظة السّماوة، حيث بُنيت حسينيّةٌ كبيرةٌ ، عليها بهاءُ الولاء للعترة الطاهرة وحُلّتُه، يقدّمون فيها أفضل الخدمات لمدّة ثمانية أيّام، وقد بنوا فيها أقساماً متعدّدة، حرماً للصلاة والوعظ والإرشاد، وقاعاتِ منام، ومطبخاً مجهَّزاً بالوسائل كافّة، وفُرناً ومخبزاً، وحمّاماتٍ مجهّزةً بكلِّ ما يحتاجُه الزائر، وغسّالات حديثةً، وطبابةً للإسعافات الأوليّة. ويبلغ عدد خدّام هذه الحسينيّة ثمانين، ما بينَ رجلٍ وامرأة،

(لا ينثنونَ ولا تفتُر عزائمُهم بل يسعدون ويلتذّون إيمانا) عندما يسعَون لخدمة عشّاق سيّد الشهداء عليه السلام؛ لهذا تراهم لا يكتفون بما بذلُوا بعد انقطاع الزوّار عن هذه الناحية، ولا تطيبُ نفوسُهم حتّى ينقلوا خدمتهم إلى محطّتهم الأخيرة، وهي أرض الغاضريّة بقرب إمامهم ومعشوقهم عليه السلام في حسينيّة الحاج هاشم، وتدوم خدمتهم إلى تمام زيارةِ الأربعين، ولا يغيب عن

ذهني ذلك الأنموذج الرائع لخدّام هذا الموكب، وهو الأخ العزيز نبيل مسلم داود – المعاق جسدياً، وهو من الخدّام القدماء في المضيف، إذ كان يعملُ منذ تأسيس الموكب عام ٢٠٠٣م، بالترحيب بالزائرينَ، وتقديم الماء إليهم، وتذكيرهم بوصية إمامِهم عليه السلام:

شيعتي ما إن شربتُم عذبَ ماءٍ فاذكُروني
أو سمعتُم بقتيلٍ أو شهيدٍ فاندبُونـــــي
فأنا السِّبطُ الذي من غير جرم قتلوني
وبجُردِ الخيلِ بعدَ القَتلِ عَمداً سحَقُونـي

وقد أدهشتنا حماسَتُه وعزيمتُه عندما قال: أنا أخدم الزّوارَ من دون أن أتأثّر، أو أقلق بسبب عَوَقي، فأنا أعمل كلَّ شيءٍ أقدر عليه، وسأبقى دائماً ما بقيتُ حيّا خادماً لزوّار سيّدي ومولاي الحُسين عليه السلام. حقّاً إنّها مشاعر جيّاشة، وأقوالٌ صادقةٌ مطابقةٌ الفعلَ من هذا الكريم المحبّ والموالي للائمةِ الأطهار عليهم السلام ولا أبالغ لو قلت: إنّ هؤلاء هُم شيعةُ عليٍّ عليه السلام؛ لأنّ لمواقفِهم الكريمة وخدماتهم الجليلةِ والعظيمةِ الأثرَ في تمكينِ كثيرٍ من الزُّوّار من السّير لزيارة أبي الأحرار عليه السلام، نسألُ الله لنا ولهم دوام التوفيق، وأن لا يحرِمَنا من هذه النِّعمة إنّه قريبٌ مجيبٌ.



التفاتة

وتَلفَّتْ عيني فمُذ خَفيتْ عنِّي الدِّيارُ تَلفَّتَ القلبُ

يَشفُّ هذا البيت عن فلسفة التلفُّت، وكُنْه ما ننوي الحديثَ عنه ما دعانا إلى أنْ يكونَ بادئةَ كلامنا في هذا الموضوع.

إنَّ الشَّاعر قد جعلَ البُعدَ مدعاةً للتلفُّت فراحت العينُ تؤدِّي وظيفتَها مُبديةً تعلُّقاً بالمقصود (المنظور إليه)، وما دام الشَّيءُ ظاهراً فالوجهُ منصرفٌ إليه بآلة العين، حتى إذا صار في الخفاء جرى الانصرافُ إليه بآلة القلب، وذلك غايةُ التعلُّق، وعمق التلفُّت.

هنا ندركُ أهميَّةَ (المُتلفَّت إليه) ومكانته في نفس الرَّائي (المُتلفِّت) وفي حال التفتَ القلبُ يتضاعفُ الاهتمامُ وتَهيجُ الأوجاعِ ويزدادُ الحنينُ.

وإذا جازَ لنا استبدالُ طرفَي (التلفُّت) لتكون (المدينة) هي ما يجب التلفُّتُ إليه، و(المسؤول) هو المُتلفِّتُ فذلك غايةُ القصيد وعلَّةُ الاستشهاد بقول الشاعر.

أثوابُها رثَّةٌ والرِّجلُ حافيةٌ والدَّمعُ تذرفهُ في الخدِّ عيناها

إنَّ المسافةَ بين (المدينة – المسؤول) تجعل التلفُّتَ لازماً، ومن المفيد أنْ يكون ذلكَ من قبيل التلفُّتِ القلبي، لأنَّ تلكَ المسافةَ أضحت بعيدة، إذ أنَّ هناك الكثير ممَّا يستدعي (التفاتةً) ووقفةً وعنايةً، وإنْ شاء الله سنشيرُ في أعداد صدى تراثنا القادمة إلى ما يُراد التلفُّتُ إليه لا عنه لأنَّ هذا الأخيرَ يعني انصرافَ الوجهِ عن المدينةِ وعن معاناتها وأوجاعها.

كما لا يُراد تلفُّتُ مَن يُسارقُ النظرَ فيلوي عنقه يمنةً ويسرةً إذا نظرَ إلى الشيء، وإنَّما يفعلُ ذلك الطائشُ الخفيفُ...

علينا أنْ نتلفَّتَ إلى مدينتنا سيِّدةِ الحضارةِ والثقافة...

علينا أنْ نحتضنَها وأنْ نُسكِنَها في محاجرنا وقلوبنا، ولا نتركَها كتلك التي قال عنها الرصافي:

• مدير التحرير

دعوة مشاركة

تُعدُّ البصرةُ مركزاً من أهمِّ المراكز الحضاريّة التي غدت قبلةَ الباحثين، ومهوى أفئدة العلماء، ومحطَّ أنظار المفكّرين منذ القدم، وقد أنجبت الكثير من العلماء والمفكّرين الذين كان لهم الدورُ في التوعية الاجتماعية والفكريّة لأبناء هذه المدينة خاصّة، وللمستنيرين عامّة، ولهذا فإنَّ توجّه الهمَم إلى بعث كنوزها وحفظ تراثها كان همّاً يراود الكثيرين ممّن يحرص على التراث ويتقصّى ذخائرَه، من هنا يُهديكم مركز تراث البصرة التابع للعتبة العبّاسيّة المقدّسة أخلص التّحايا، ويودُّ أن يمدَّ جسور التعاون العلميّ بينه وبين المراكز والجامعات والمرافق كافّة خدمةً للحركة العلميّة وأنشطة البحث العلمي، حول تراث هذه المدينة الزاخر، استفادة من خبراتكم وتجاربكم العلميّة، ويدعوكم للمشاركة والمساهمة في رفد مجلّتي المركز اللتين تصدران عنه، من خلال كتابة البحوث والمقالات المتنوعة، وفيمَا يلي تعريفٌ موجزٌ بالمجلّتين وشرائط الكتابة فيهما، شاكرينَ لكُم المتابعة وإنعام النظر:

١- مجلّة (الخُطوة): وهي مجلّةٌ تراثيّةٌ فصليّةٌ ثقافيّةٌ، تعنى بالتراث البصريّ في جوانبه المختلفة (حرف، مهن، معالم أثريّة، شخصيّات، علماء، كتّاب، دراسات تراثيّة... إلى آخره).

٢- مجلّة (تراث البصرة): مجلّةٌ فصليّةٌ متخصّصةٌ تعنى بنشر البحوث والدراسات حول البصرة التي لم يسبق نشرها في أيّ وسيلة نشر.

وفي أدناه شروط النشر المعتمدة في المجلّتين:

١- يشترط في البحوث والدراسات أن تكونَ وفقَ منهجيّة البحث العلميّ وخُطواته المتعارف عليها عالميّاً، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربيّة أو الانكليزيّة.

٢- أن يكونَ الموضوع المقدّم للنشر مبتكراً جديداً لم يُسبق نشره.

٣- أن يكونَ مختصّاً بالشأن البصريّ.

٤- أن يتّسم بالموضوعيّة والرّصانة العلميّة.

٥- يتراوح طول الموضوع في مجلّة (الخُطوة) ما بين (٣-٤) صفحات(A٤)، على حين يتراوح طول البحث المقدّم للمجلّة العلميّة ما بين (١٥-٣٠) صفحة((A٤، وبحجم خطٍّ(١٦)، وبنوع خطٍّ(Simplified Arabic)، مع نسخةٍ ورقيّة، وقرص مدمج(CD)لكليهما.

٦- تقديم ملخّص للبحث باللغتين العربيّة والانجليزيّة، مع عنوان البحث، وبحدود(١٥٠-٣٠٠) كلمة. (بالنسبة إلى المجلّة المحكّمة).

٧- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش في آخر البحث، وتراعى الأصول العلميّة المتعارفة في التوثيق. (بالنسبة إلى المجلّة المحكّمة).

٨- تخضع المواد المقدّمة للنشر للتقييم العلميّ، والتقويم اللغويّ.

٩- من الضروريّ إرفاق سيرة الكاتب العلميّة في المرّة الأولى التي يتعاون فيها مع المجلّة، وكذا معلومات كاملة عن عنوانه، وجهة العمل، ورقم الهاتف، والبريد الألكتروني.

١٠- الموضوعات التي يقترح المحكّمون إجراء تعديلات فيها ستُعاد إلى أصحابها لإجراء ما هو مطلوب قبل نشرها.

١١- جماليّة اللغة وسلامتها ضرورتان من ضرورات النشر.

١٢- لا تردّ الأصول إلى أصحابها، سواء نشرت أم لم تُنشر، وسيتمّ الإشعار بالقبول أو الرفض.

١٣- هناك أولويات لأسبقيّة النشر، تعود إلى: تاريخ تسلّم البحث، أو تاريخ تقديم البحوث التي تمّ تعديلها، أو تنوّع مجالات البحوث كلّما أمكن.

وفضلاً عن هذا فإنّ المركز سيقوم بأنشطة علميّة وإبداعيّة متنوّعة، وتسرّه دعوتكم للمشاركة فيها، ومنها:

١- تأليف الكتب الخاصّة بتأريخ البصرة وتراثها، وسيقوم المركز بطباعة هذه الكتب، بعد دراسة جدواها العلميّة.

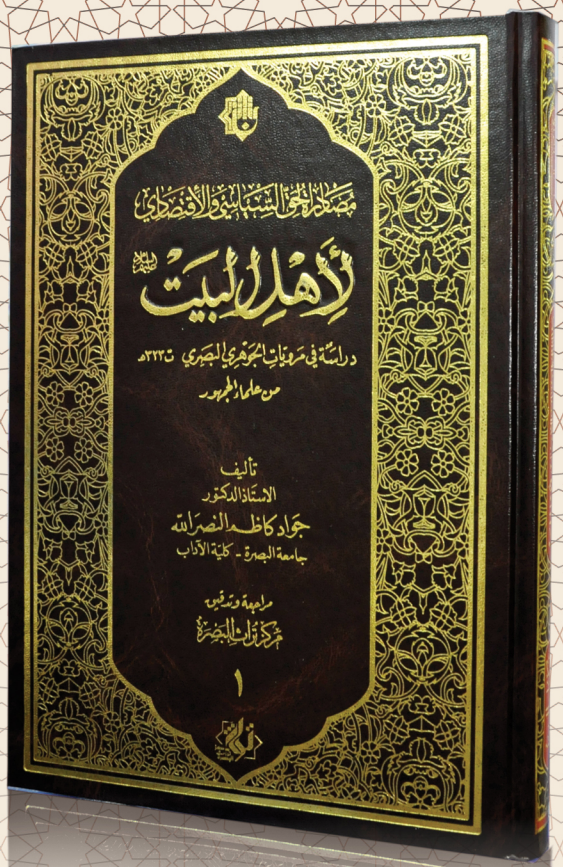
٢- شراء المخطوطات الخاصّة بالبصرة، وكذلك الكتب القديمة التي نفدت وتكاد تنعدم من المكتبة البصريّة، وسيقوم المركز بإعادة طباعتها؛ لكي يرفد مكتبته بمَا كُتب عن البصرة.

٣- جمع كلّ ما يمكن من الوثائق والصُّور والخرائط واللوحات والتحف والتراثيّات.

٤- هناك مؤتمرات وندوات وحلقات نقاشيّة لدراسة الواقع البصريّ، سيتمُّ الإعلان عنها وتوجيه الدعوات في حينها.

إنَّ مركز تراث البصرة سيسعى جاهداً إلى إحياء تراث مدينتنا الزاخر بالكنوز والمحامد، وسيعزّز ما هو معروف عن البصرة من مكانة علميّة وثقافيّة أدّت معها أدواراً حضاريّةً وريادِيّةً، ظلّت موضعَ فخرٍ في صفحات تأريخنا الإسلاميّ والعربيّ.

أملنا وطيد في تعاونكم معنا وإثرائكم مسيرتنا العلميّة التي سيتوقّف نجاحُها بالتأكيد على ذلك التعاون. وفّقكم الله لخدمة بصرتنا العزيزة وعراقنا الغالي.



من إصداراتِ مركزِ تراثِ البصرةِ

(مصادرةُ الحقِّ السياسيِّ والاقتصاديِّ لأهل البيت عليهم السلام)

دراسةٌ في مرويّاتِ أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ البصريّ(مِن علماءِ الجمهور ت٣٢٢هـ)

تأليف أ.د جواد كاظم النصر الله

من خلال عنوان الكتاب يظهرُ جهدُ الباحثِ في دراسةِ رواياتِ كتاب (السقيفة وفدك) للجوهريّ، وهو كتاب مفقود، قام العلّامة محمّد هادي الأميني باستخراج مرويّاته، من كتاب (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، وأعاد تبويبها وتحقيقها، فتركّزت الدراسة في بابين، الأول: البعدُ السياسيُّ (السقيفة)، الذي تمثّل بمصادرة حقِّ أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمّة، والثاني: البعدُ الاقتصاديّ، الذي تمثّل بمصادرةِ الحقوقِ الاقتصاديّة لأهلِ البيت عليهم السلام المنصوص عليها قرآنياً، (فدك، وإرث النبيّ صلى الله عليه وآله، والخمس)، مع إفراد باب خاص عن شخصيّة الجوهري ألتي لاقت تعتيماً ملفتاً للنظر من كتّاب التراجم؛ لذا آلى الباحثُ على نفسِه بالقيام بإعداد دراسة عن شخصيّتِه بعد مراجعةٍ متأنّيةٍ لعشراتِ المصادر من كتبِ اللغة والأدب والتاريخ والتراجم وغيرها.